

# خَطُّ الْمُقْرِئِ

٤١



كتاب  
التحريد

«سمات مصر هي مستطى رأسى، ولعلب أنبارى، ومجم ناسى، ومضى مشيرى، وعاشى،  
وسطن خاصتى وعاشى، وهوى هوى الذى ربى هاشمى، وكرى، ومضى مارى، فعدى  
توى الأضفى غير ذكرى، نزلت من شروق الدام، وثانى ربى الغطاء والظفر، أجب فى  
مودة أهبارى، وأجب إشراف على إشراف من آبارى، وأهوى سارد الكيان من مكان ديارى،  
نقى الدين أحمد بن على المقرئ



يكتب ويملى على اثنين ، ووجهه وشفته تعلب ألوان الحركات ، لقوة حرصه فى اخراج الكلام ، وكأنه يكتب بجملته أعضاءه .

وكان له غرام فى الكتابة وتحصيل الكتب ، وكان له الدين والعفاف والتقى ، والمواظبة على أوارد الليل ، والصيام وقراءة القرآن . وكان قليل اللذات ، كثير الحسنات ، دائم التهجيد ، وبشتغل بعلوم الادب وتفسير القرآن . غير أنه كان خفيف البضاعة من النحو ، ولكن قوة الدراية نوحب له قلة اللحن . وكان لا يكاد يضع من زمان شيئا الا فى طاعة ، وكتب فى الانشاء ما لم يكتبه غيره .

وحكى لى ابن القطان أحد كتابه قال : لما خطب صلاح الدين بمصر للإمام المستضى بأمر الله ، تقدم الى القاضى الفاضل بأن يكتب الديوان العسيز وملوك الشرق . ولم يكن يعرف خطابهم واصطلاحهم ، فأوعى الى العماد الكاتب أن يكتب فكتب واحتفل ، وجاء بها مفوضة ليقراها الفاضل متحفا بها ، فقال : لا أحتاج أن أقف عليها . وأمر بختها وتسليمها الى التجاب ، والعماد يبصر .

قال : ثم أمرنى أن ألحق التجاب بيبليس ، وأن أفضى الكتب ، وأكتب صدورها ونهايتها ، ففعلت ورجعت بها اليه . فكتب على حذوها وعرضها على السلطان ، فارتضاها ، وأمر بارسالها الى أربابها مع التجاب .

وكان متقللا فى مطعمه ومنكحه وملبسه ، ولباسه البياض لا يبلغ جبيع ما عليه ديارين ، ويركب معه غلام وركابى ، ولا يمكن أحدا أن

يضعه ، ويكثر زيارة القيو وتشيح الجنائز وعيادة المرضى ، وله معروف فى السر والعلانية ، وأكثر أوقاته يفطر بعدما يتهور الليل .

وكان ضعيف البنية ، وقيق الصورة ، له حدية يغطيها الطيلسان . وكان فيه سوء خلق يكمن به فى نفسه ، ولا يضر أحدا به . ولأصحاب الأدب عنده تفاق ، يحسن اليهم ولا يمن عليهم ، ويؤثر أرباب البيوت والغرباء ، ولم يكن له انتقام من أعدائه الا بالاحسان اليهم أو بالاعراض عنهم . وكان دخله فى كل سنة ، من اقطاع ورباع وضياع خمسين ألف دينار ، سوى متاجره للهند والمغرب وغيرها .

وكان يقتنى الكتب من كل فن ، ويحبها من كل جهة ، وله نسخ لا يفترون ومجلدون لا يطلون . . . قال لى بعض من يخدمه فى الكتب : ان عددها قد بلغ مائة ألف وأربعة وعشرين ألفا . وهذا قبل موته بعشرين سنة .

وحكى لى ابن صورة الكتبى أن ابنه القاضى الأشرف التمس منى أن أطلب له نسخة الحماة ليقراها ، فأعلمت القاضى الفاضل . فاستحضر من الخادم الحاسات ، فأحضر له خمسا وثلاثين نسخة ، وصار ينفذ نسخة نسخة ويقول : هذه بخط فلان ، وهذه عليها خط فلان . . حتى أتى على الجميع وقال : ليس فيها ما يصلح للصبيان . وأمرنى أن أشتري له نسخة بدينار .

### المدرسة الأزكسية

هذه المدرسة بالقاهرة على رأس السوق الذى كان يعرف بالخروفيين ، ويعرف اليوم بسوق أمير الجيوش . بناها الأمير سيف الدين أيازكوج الأسدى - مملوك أسد الدين شيركوه ، وأحد أمراء السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب - وجعلها مقما على الفقهاء من الحنفية فقط فى سنة اثنتين وتسعين وخمسة .

وكان أيازكوج رأس الأمراء الأسدية بديار مصر فى أيام السلطان صلاح الدين وأيام ابنه الملك العزيز عثمان ، وكان الأمير فخر الدين جهار كس رأس الصلاحية . ولم يزل على ذلك الى أن مات فى يوم الجمعة ثامن عشر ربيع الآخر سنة تسع وتسعين وخمسة ، ودفن بسفح المقطم ، بالقرب من رباط الأمير فخر الدين بن قزل .

### المدرسة الفخرية

هذه المدرسة بالقاهرة ، فيما بين سوقة صاحب ودرب العداس . عمرها الأمير الكبير فخر الدين أبو الفتح عثمان بن قزل البارومى ، أستادار الملك الكامل محمد بن العادل ، وكان الفراغ منها فى سنة اثنتين وعشرين وستائة ، وكان موضعها أخيرا يعرف بدار الأمير حسام الدين ساروح بن أرتق شاد الدواوين .

ومولد الأمير فخر الدين فى سنة احدى وخمسين وخمسة بعلب ، وتقل فى الخدم حتى صار أحد الأمراء بديار مصر ، وتقدم فى

أيام الملك الكامل ، وصار أستاداره ، واليه أمر الملكة وتديرها الى أن سافر السلطان من القاهرة يريد بلاد المشرق فمات بحران بعد مرض طويل فى ثامن عشر ذى الحجة سنة تسع وعشرين وستائة .

وكان خيرا كثير الصدقة ، تفقد أرباب اليسوت . وله من الآثار ، سوى هذه المدرسة ، المسجد الذى تحاها ، وله أيضا رباط بالقرافة \* ، والى جانبه كتاب سليل ، وبنى بمكة رباطا .

### المدرسة السيفية

هذه المدرسة بالقاهرة ، فيما بين خط البندقائين وخط الملحجين ، وموضعها من جملة دار الديباج قال ابن عبد الظاهر كانت دارا وهى من المدرسة القطبية ، فكها شيخ الشيوخ ( يعنى صدر الدين محمد بن حوية ) ، وبنت فى وزارة صفى الدين عبد الله بن على بن شكران سيف الاسلام ، ووقفها وولى فيها عماد الدين ولد القاضى صدر الدين ( يعنى ابن درباس ) وسيف الاسلام هذا اسمه طفتكين بن أيوب .

« طفتكين » : ظهر الدين سيف الاسلام الملك المعز بن نجم الدين أيوب بن شسادى ابن مروان الأيوبرى . سيره أخوه صلاح الدين يوسف بن أيوب الى بلاد اليمن فى سنة سبع وسبعين وخمسة ، فملكها واستولى على كثير من بلادها . وكان شجاعا كريما ، مشكور السيرة ، حسن السياسة .

### المدرسة القطبية

هذه المدرسة فى أول حارة زويلة برحبة كوكاى . عرفت بالسب الجيلة الكبرى عصمة الدين مؤنسة خاتون — المروفة بدار اقبال العللى — ابنة الملك العادل أبى بكر بن أيوب ، وشقيقة الملك الأفضل قطب الدين أحمد واليه نسبت . وكانت ولادتها فى سنة ثلاث وستمائة ، ووفاتها ليلة الرابع والعشرين من ربيع الآخر سنة ثلاث وتسعين وستمائة .

وكانت قد سمعت الحديث ، وخرّج لها الحافظ أبو العباس أحمد بن محمد الظاهرى أحاديث ثمانينات حدثت بها . وكانت عاقلة دينة فصيحة ، لها أدب وصداقات كثيرة ، وتركت مالا جزيلا ، وأوصت ببناء مدرسة يجعل فيها فقهاء وقراء ، وبشترى لها وقف . فبنيت هذه المدرسة ، وجعل فيها درس للشافعية ودرس للحنفية ، وقراء . وهى الى اليوم عامرة .

### المدرسة الخروبية

هذه المدرسة على شاطئ النيل من مدينة مصر . أنشأها تاج الدين محمد بن صلاح الدين أحمد بن محمد بن على الخروبى ، لما أنشأ بيتا كبيرا مقابل بيت أخيه عز الدين قبله على شاطئ النيل ، وجعل فيه هذه المدرسة . وهى الطف من مدرسة أخيه ، وبجنبها مكتب سبيل ، ووقف عليها أوقافا ، وجعل بها مدرّس حديث فقط ، ومات بسكة فى آخر المحرم سنة خمس وثمانين وسبعمائة .

قصده الناس من البلاد الشامية يستمطرون احسانه وبره . وسار اليه شرف الدين بن عنين ، ومدحه بمدة قصائد بديعة ، فأجزل صلاته ، وأكثر من الاحسان اليه ، واكتسب من جهته مالا وافرا ، وخرج من اليمن . فلما قدم الى مصر — والسلطان اذ ذاك الملك العزيز عثمان بن صلاح الدين — ألزمه أبواب ديوان الزكاة بدفع زكاة ما معه من المتجر ، فعمل :

ما كل من يتسمى بالعزيز لها أهل ، ولا كل برق سحبه غدقه

بين العزيزين فرق فى فعالهما :  
هذالك يعطى ، وهذا يأخذ الصدقه

وتوفى سيف الاسلام فى شوال سنة ثلاث وتسعين وخمسائة بالمسورة ، وهى مدينة باليمن اختطها رحمه الله تعالى .

### المدرسة العاشورية

هذه المدرسة بحارة زويلة من القاهرة ، بالقرب من المدرسة القطبية الجديدة ورحبة كوكاى ... قال ابن عبد الظاهر : كانت دار اليهودى ابن جبيع الطبيب ، وكان يكتب لقرأوش ، فاشترتها منه الست عاشوراء بنت ساروح الأسدى — زوجة الأمير أيازكوج الأسدى — ووقفها على الحنفية ، وكانت من الدور الحنة .

وقد ثلاثت هذه المدرسة ، وصارت طول الأيام مغلوقة لا تفتح الا قليلا ، فانها فى زقاق لا يسكنه الا اليهود ومن يقرب منهم فى النسب .

### مدرسة المحل

نجم الدين أمير حاجب ، ثم انتقل الى الملك  
الظاهر بيبرس ، فترقى عنده فى الخدم حتى  
صار أحد الأمراء الأكابر ، وولاه الأستاذية ،  
وناب عنه بديار مصر مدة غيته ، وقدمه على  
العساكر غير مرة ، وفتح له بلاد النوبة وكان  
وسيعا جسيما ، شجاعا مقداما حازما ، صاحب  
دراية بالأمور وخبرة بالأحوال والتصرفات ،  
مدبرا للدول ، كثير البر والصدقة

ولما مات الملك الظاهر ، وقام من بعده فى  
ملك مصر ابنه الملك السعيد بركة قان ، ولده  
نيابة السلطنة بديار مصر بعد موت الأمير بدر  
الدين بيلبك الخازندار ، فأظهر الحزم ، وضم  
اليه طائفة : منهم شمس الدين أقوش ،  
وقطليجا الرومى ، وسيف الدين قليج  
البغدادى ، وسيف الدين ييجو البغدادى ،  
وسيف الدين شعبان أمير شكار ، وبكتر  
السلحدار .

وكانت الخاصكية تكرمه ، فاتفقوا مع  
ممالك بيلبك الخازندار على القبض عليه ،  
وتحدثوا مع الملك السعيد فى ذلك ، ومازالوا  
به حتى قبضوا عليه بمساعدة الأمير سيف  
الدين كوندك الساقى لهم ، وكان قد روى مع  
السعيد فى المكتب ، فلم يشعر وهو قاعد بإب  
القلة من القلعة ، الا وقد سحب وضرب وتفت  
لحيته وجر - وقد ارتكب فى اهاتيه أمر  
شنيع - الى البرج فسجن به لىالى قليلة ، ثم  
أخرج منه ميتا فى أثناء سنة ست وسبعين  
وسمائه ، وجهل قبره .

هذه المدرسة على شاطئ النيل ، داخل  
صناعة التمر ، ظاهر مدينة مصر . أنشأها  
رئيس التجار برهان الدين إبراهيم بن عمر بن  
على المحلى ابن بنت العلامة شمس الدين محمد  
ابن اللبان ، وينتسب فى نسبه الى طلحة بن  
عبيد الله ، أحد العشرة رضى الله عنهم ، وجعل  
هذه المدرسة بجوار داره التى عمرها فى مدة  
سبع سنين ، وأتفق فى بنائها زيادة على \*  
خمين ألف دينار ، وجعل بجوارها مكتب  
سبيل ، لكن لم يجعل بها مدرسا ولا طلبة .

وتوفى ثانى عشرى ربيع الأول سنة ست  
وثمانمائة عن مال عظيم ، أخذ منه السلطان  
الملك الناصر فرج بن برقوق مائة ألف دينار ،  
وكان مولده سنة خمس وأربعين وسمائة ،  
ولم يكن مشكور السيرة فى الديانة ، وله من  
المآثر تجديد جامع عرو بن العاص ، فانه كان  
قد تداعى الى السقوط ، فقام بممارته حتى  
عاد قريبا مما كان عليه .. شكر الله له ذلك .

### المدرسة الفارقانية

هذه المدرسة بابها شارع فى سوق حارة  
الوزيرية من القاهرة . فتحت فى يوم الاثنين  
رابع جادى الأولى سنة ست وسبعين  
وسمائه ، وبها درس للطائفة الشافعية ، ودرس  
للطائفة الحنفية .

أنشأها الأمير شمس الدين آق سنقر  
الفارقانى السلحدار . كان مملوكا للأمير

## المدرسة المهدية

هذه المدرسة خارج باب زويلة ، من خط حارة حلب ، بجوار حمام قمارى . بناها الحكيم مهذب الدين أبو سعيد محمد بن علم الدين بن أبي الوحش بن أبي الخير بن أبي سليمان بن أبي حلقة ، رئيس الأطباء

كان جده الرشيد أبو الوحش نصرانيا متقدما فى صناعة الطب ، فأسلم انه علم الدين فى حياته ، وكان لا يولد له ولد فبعث ، فرأت أمه ، وهى حامل به ، قائلا تقول : هوا له حلقة فضة قد تصدق موزنها ، وساعة نوضع من بطن أمه تثقب أذنه ونوضع فيها الحلقة ، ففعلت ذلك فعاش ، فعاهدت أمه أباه ألا يلقمها من أدنه ، فكر وجاءه أولاد وكلهم موت ، فولد له امه مهذب الدين أبو سعيد ، فعمل له حلقة فعاش .

وكان سبب اشتهاره بأبى حلقة : أن الملك الكامل محمد بن العادل أمر بعض خدامه أن يستدعى بالرشيد الطبيب من الباب — وكان جماعة من الأطباء بالسب — فقال الخادم : من هو منهم ؟

فقال السلطان : أبو حلقة .

فخرج فاستدعاه بذلك ، فاشتهر بهذا الاسم . ومات الرشيد فى سنة ست وسبعين وسبعمائة .

## المدرسة الخروية

هذه المدرسة بظاهر مدينة مصر ، تجاه المقياس بخط كرمى الجسر . أنشأها كبير

الخراوية بدر الدين محمد بن محمد بن علي الخروى — بفتح الخاء المعجمة ، وتشديد الراء المهملة وضمها ، ثم واو ساكنة بعدها باء موحدة ، ثم ياء آخر الحروف — التاخر فى مطابخ السكر وفى غيرها بعد سنة خصلين وسبعمائة

وجعل مدرس الفقه بها الشيخ بهاء الدين عبد الله بن عبد الرحمن بن عقيل ، والمعبد الشيخ سراح الدين عمر البلقينى . ومات سنة اثنتين وستين وسبعمائة .

وأنشأ أيضا رميم بخط دار النحاس من مصر على شاطئ النيل ، ورعين مقابل المقياس بالقرب من مدرسته .

وليد الدين هذا أخ من أبيه أسن منه ، يقال له صلاح الدين أحمد بن محمد بن علي الخروى ، عاش بعد أخيه ، وأنجب فى أولاده وأدركت لهم أولادا نجباء . وكان أولا قليل المال ، ثم تحول . أنشأ تربة كبيرة بالقرافة ، فيما بين تربة الامام الشافعى وتربة الليث بن سعد ، مقابل السروتن . وجددها حفيده نور الدين علي بن عز الدين محمد بن صلاح الدين وأضاف لها مطهرة حسنة ، ومات سنة ثمان وسين وسبعمائة

وشرط بدر الدين فى مدرسته ألا يلى بها أحد من العجم وظيفة \* من الوظائف ، فقال فى كل وظيفة منها : ويكون من العرب دون العجم . وكانت له مكارم ، جهز مرة ابن عقيل الى الحج بنحو خمسمائة دينار .

(\*) ص ٣٦٩ ج ٢ ، ط. بولاق ،

المناصب الجليلة ، واشتهرت كفايته ، وعرفت  
فى الدولة نهضة ودراية .

فاستوزره السلطان الملك الظاهر ركن الدين  
بيبرس البندقدارى ، فى ثامن شهر ربيع الأول  
سنة تسع وخمسين وستائة ، بعد القبض على  
الصاحب زين الدين يعقوب بن الزبير ،  
وفوض اليه تدبير المملكة وأموال الدولة كلها ،  
فنزله من قلعة الجبل بحلج الوزارة - ومعه  
الأمير سيف الدين بلبان الرومى الدوادار ،  
وجميع الأعيان والأكابر - الى داره .

واستبد بجميع التصرفات ، وأظهر عن حزم  
وعزم وجودة رأى . وقام بأعباء الدولة ، من  
ولايات العمال وعزلهم ، من غير مشاورة  
السلطان ، ولا اعتراض أحد عليه . فصار مرجع  
جميع الأمور ، ومصدرها عنه ، ومشأ وولايات  
الخطط والأعمال من قلعه ، وزوالها عن أربابها  
لا يصدر الا من قبله . وما زال على ذلك طول  
الأيام الظاهرية .

فلما قام الملك السعيد بركة خان بأمر المملكة  
بعد موت أبيه الملك الظاهر ، أقره على ما كان  
عليه فى حياة والده ، فدير الأمور ، وساس  
الأحوال . وما تعرض له أحد بمداوة ولا  
سوء ، مع كثرة من كان يساويه من الأمراء  
وغيرهم ، الا وصده الله عنه ، ولم يجد ما  
يتعلق به عليه ، ولا ما يبلغ به مقصوده منه .

وكان عطاؤه واسعا ، وصلاته وكنفه للأمراء  
والأعيان ، ومن يلوذ به ويتعلق بخدمته ، تخرج  
عن الحد فى الكثرة ، وتتجاوز القدر فى  
السعة ... مع حسن ظن بالفقراء ، وصدق  
العقيدة فى أهل الخير والصلاح ، والقيام

## المدرسة الخروية

هذه المدرسة بخط الشون ، قبل دار  
النحاس من ظاهر مدينة مصر . أنشأها عز  
الدين محمد بن صلاح الدين أحمد بن محمد  
ابن على الخروى ، وهى أكبر من مدرسة عنه  
بدر الدين . الا أنه مات سنة ست وسبعين  
وسبعمائة ، قبل استيفاء ما أراد أن يجعل  
فيها ، فليس لها مدرس ولا طلبة ، ومولده  
سنة ست عشرة وسبعمائة ، ونشأ فى دنيا  
عريضة . رحمه الله تعالى .

## المدرسة الصلاحية البهائية

هذه المدرسة كانت بزقاق القناديل من مدينة  
مصر ، قرب الجامع العتيق . أنشأها الوزير  
الصاحب بهاء الدين على بن محمد بن سليم  
ابن حنا فى سنة أربع وخمسين وستائة .  
وكان اذ ذلك زقاق القناديل أعمر أخطاط  
مصر ، وانما قيل له زقاق القناديل من أجل أنه  
كان سكن الأشراف ، وكانت أبواب الدور  
يعلق على كل باب منها قنديل ... قال  
القضاعى : ويقال انه كان به مائة قنديل توقد  
كل ليلة على أبواب الأكابر .

وابن حنا هذا هو على بن محمد بن سليم  
- بفتح السين المهملة وكسر اللام ، ثم ياء  
آخر الحروف بعدها ميم - ابن حنا - بهاء  
مهملة مكسورة ، ثم نون مشددة مفتوحة  
بعدها ألف - الوزير الصاحب بهاء الدين .  
ولد بمصر فى سنة ثلاث وستائة ، وتثقلت  
به الأحوال فى كتابة الدواوين الى أن ولى



عنهما بأولادهما ، فما منهم الا نجيب صخر \*  
رئيس فاضل مذكور . وما مات حتى صا  
جد جد ، وهو على المكانة وافر الحرمة ، فى  
ليلة الجمعة مستقل ذى الحجة سنة سبع  
وسبعين وستمائة ، ودفن بترته من قرافة  
مصر .

ووزر من بعده صاحب برهان الدين  
الخصر بن حسن بن على السنجارى ، وكان  
ينه وبين ابن حادواة ظاهرة وباطنة ،  
وحقود بارزة وكامنة . فأوقع الحولة على  
الصاحب تاج الدين محمد بن حاد بدمشق ،  
وكان مع الملك السعيد بها ، وأخذ خطه بمائة  
آلف دينار ، وجهزه على البريد الى مصر  
ليستخرج منه ومن أخيه زين الدين أحمد ، ابن  
عمه عز الدين تكملة ثلثمائة ألف دينار ،  
وأحيط بأسبابه ومن يلوذ به من أصحابه  
ومعارفه وغلماناه ، وطولوا بالمال .

وأول من درس بعده المدرسة الصاحب فخر  
الدين محمد ، ابن يانها الوزير الصاحب بهاء  
الدين ، الى أن مات يوم الاثنين حادى عشرى  
شعبان سنة ثمان وستين وستمائة .

فولها من بعده ابنه محبى الدين أحمد بن  
محمد الى أن توفي يوم الأحد ثامن شعبان  
سنة اثنتين وسبعين وستائة فدرس فيها  
بعده الصاحب زين الدين أحمد بن الصاحب  
فخر الدين محمد بن الصاحب بهاء الدين الى  
أن مات فى يوم الأربعاء سابع صفر سنة أربع  
وسبعمائة . فدرس بها ولده الصاحب شرف  
الدين .

( ١١٠ ) من ٢٧٠ ج ٢ ، ط . بولاق .

بمعوتهم ، وتفقد أحوالهم ، وقضاء أشغالهم ،  
والمبادرة الى أمثال أوارهم ، والعفة عن  
الأموال - حتى انه لم يقبل من أحد فى  
وزارته هدية ، الا أن تكون هدية فقير أو  
شيخ معتقد يتبرك بها يصل من أثره - وكثرة  
الصدقات فى السر والعلانية .

وكان يستعين على ما التزمه من المبرات  
ولزمه من الكلف بالتاجر ، وقد ملحه عدة  
من الناس ، فقبل مديحهم وأجزل جوائزهم .  
وما أحسن قول الرشيد الفارقى فيه :

وقائل قال لى نبه لنا عمرا  
فقلت ان عليا قد تنبه لى

مالى اذا كنت محتاجا الى عمر  
من حاجة فليم حسبى ابتاه على  
وقول سعد الدين بن مروان الفارقى فى  
كتاب « الدرج » المختص به أيضا .

يمم عليا فهو بحر الندى  
وناده فى المضلع المضل  
فرفده بحر على مجذب  
ووفده مضى الى مفصل

يسرع ان سيل نداه وهل  
أسرع من سيل أتى من على

الا أنه أحدث فى وزارته حوادث عظيمة ،  
وقاس أراضى الأملاك بمصر والقاهرة ، وأخذ  
عليها مالا ، وصادر أرباب الأموال وعاقبهم  
حتى مات كثير منهم تحت العقوبة ، واستخرج  
جوالى الذمة مضاعفة .

ورزى بفقد ولديه : الصاحب فخر الدين  
محمد ، والصاحب زين الدين . فعوضه الله

وكانت من أجل مدارس الدنيا ، وأعظم مدرسة بمصر تتنافس الناس من طلبة العلم في النزول بها ، وتتساحنون في سكني بيوتها ، حتى يصير البيت الواحد من بيوتها يسكن فيه الاثنان من طلبة العلم والثلاثة ، ثم ثلاثي أمرها حتى هدمت ، وسيجعل عن قريب موضعها . وثمة عاقبة الأمور .

### المدرسة الصحابية

هذه المدرسة بالقاهرة في سوق الصحاب . كان موضعها من جملة دار الوزير يعقوب بن كلس ، ومن جملة دار الديباج أنشأها الصحابي صفي الدين عبد الله بن علي بن شكر ، وجعلها وقفا على المالكية ، وبها درس نحو وخزانة كتب ، وما زالت بيد أولاده .

فلما كان في شعبان سنة ثمان وخمسين وسبع مائة ، جدد عمارتها القاضي علم الدين ابراهيم بن عبد اللطيف بن ابراهيم - المعروف بابن الزبير - ناظر الدولة في أيام الملك الناصر حسن بن محمد بن قلاوون ، واستجد فيها منبرا ، فصار يصلي بها الجمعة الى يومنا هذا ، ولم يكن قبل ذلك بها منبر ، ولا تصلى فيها الجمعة

« عبد الله بن علي بن الحسين » بن عبد الخالق بن الحسين بن الحسن بن منصور بن ابراهيم بن عمار بن منصور بن علي ، صفي الدين أبو محمد الشيباني ، الدميري المالكي - المعروف بابن شكر - ولد بناحية دميرة ، احدى قرى مصر البحرية ، في تاسع ص سنة ثمان وأربعين وخمس مائة ، ومات أبوه ،

وتوارثها أبناء الصحابي ، يلون نظرها وتدرسها ، الصحابي بهاء الدين . الى أن كان آخرهم صاحبنا الرئيس شمس الدين محمد بن أحمد بن محمد بن محمد بن محمد بن أحمد بن الصحابي بهاء الدين ... ولها بعد أبيه عز الدين ، ولها عز الدين بعد بدر الدين أحمد بن محمد بن محمد بن محمد بن الصحابي بهاء الدين .

فلما مات صاحبنا شمس الدين محمد بن الصحابي ، ليلة بقيت من جمادى الآخرة سنة ثلاث عشرة وثمان مائة ، وضع بعض نواب القضاة يده على ما بقي لها من وقف . وأقامت هذه المدرسة مدة أعوام معطلة من ذكر الله وأقام الصلاة ، لا يأتيها أحد لخراب ما حولها ، وبها شخص يبيت بها كي لا يسرق ما بها من أبواب ورخام .

وكان لها خزانة كتب جليلة ، فنقلها شمس الدين محمد بن الصحابي ، وصارت تحت يده الى أن مات . فتفرقت في أيدي الناس ، وكان قد عزم على نقلها الى شاطئ النيل بمصر ، فمات قبل ذلك .

ولما كان في سنة اثنتي عشرة وثمان مائة ، أخذ الملك الناصر فرج بن برقوق عدد الرخام التي كانت بهذه المدرسة - وكانت كثيرة العدد . جليلة القدر - وعسل بدلها دعائم تحبل السقوف . الى أن كانت أيام الملك المؤيد شيخ ، وولي الأمير تاج الدين الشوبكي الدمشقي ولادة القاهرة ومصر وحسبة البلدين وشد الصائر السلطانية . فهدم هذه المدرسة في أخريات سنة سبع عشرة وأوائل سنة ثمان عشرة وثمان مائة .

فتزوجت أمه بالقاضي الوزير الأعز فخر الدين مقدم ، ابن القاضي الأجل أبي العباس أحمد ابن شكر المالكي ، فرباه ، ونوه باسمه لأنه كان ابن عمه ، فعرف به وقيل له ابن شكر .

وسمى صفي الدين من الفقيه أبي الظاهر اسماعيل بن مكى بن عوف ، وأبى الطيب عبد المنعم بن يحيى وغيره ، وحدث بالقاهرة ودمشق ، وتفقه على مذهب مالك ، وبرع فيه ، وصنف كتابا في الفقه كان كل من حفظه قال منه حظا وافرا ، وقصد بذلك أن يشبه بالوزير عون الدين بن هيرة .

كانت بداية أمره أنه لما سلم السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب أمر الأسطول لأخيه الملك العادل أبي بكر بن أيوب ، وأقرده له من الأبواب الديوانية الزكاة بمصر ، والحبس الجبوشي بالبرين ، والنظرون ، والفراج وما معه من ثمن القرط ، وساحل السنط ، والمراكب الديوانية ، وأسا وطنبدي . استخدم العادل في مباشرة ديوان هذه المعاملة الصفي بن شكر هذا ، وكان ذلك \* في سنة سبع وثمانين وخمسائة .

ومن حينئذ اشتهر ذكره ، وتخصص بالملك العادل . فلما استقل بملكمة مصر ، في سنة ست وتسعين وخمسائة ، عظم قدره ، ثم استوزره بعد الصيغة بن الجار ، فحل عنده محفل الوزراء الكبار والعلماء المشاورين ، وياشر الوزارة بسطوة وجبروت وتعاظم ، وصادر كتاب الدولة ، واستصفى أموالهم . ففر منه القاضي الأشرف ابن القاضي العاضل

(\*) ص ٣٧١ ج ٢ ، ط - يولاق .

الى بغداد ، واستشفع بالخليفة الناصر ، وأحضر كتابه الى الملك العادل بشفع فيه . وهرب منه القاضي علم الدين اسماعيل بن أبي الحجاج صاحب ديوان الجيش ، والقاضي الأسعد أسعد بن ممتى صاحب ديوان المال ، والتجأ الى الملك الظاهر بحلب ، فأقاما عنده حتى ماتا .

وصادر بنى حمدان ، وبنى الحباب ، وبنى الجليس ، وأكابر الكتاب ... والسلطان لا يعارضه في شيء . ومع ذلك فكان يكثروا التفضيل على السلطان ، وتجنى عليه وهو يحتله ، الى أن غضب في سنة سبع ومئائة ، وحلف أنه ما بقى يخدم . فلم يحتله ، وولى الوراثة عوضا عنه القاضي الأعز فخر الدين مقدم بن شكر ، وأخرجه من مصر بجميع أمواله ، وحرمه وغلماه ، وكان نقله على ثلاثين جملا ، وأخذ أعداؤه في إغراء السلطان به ، وحسنوا له أن يأخذ ماله ، فأبى عليهم ، ولم يأخذ منه شيئا .

وصار الى آمد ، فأقام بها عند ابن أرتق الى أن مات الملك العادل في سنة خمسعين ومئائة فطلبه الملك الكامل محمد ابن الملك العادل لما استبد بسلطنة ديار مصر بعد أبيه ، وهو في نوبة قتال الفرنج على دمياط ، حين رأى أن الضرورة داعية لحضوره بعدما كان يماديه . فقدم عليه في ذي القعدة مها ، وهو بالملزة العادلة قريبا من دمياط .

فقتلناه وأكرمه ، وحادثه فيما نزل به من موت أبيه ، ومطالبة الفرنج ، ومخالفة الأمير عماد الدين أحمد بن المشرطوب ، واضطراب أرض مصر يشورة العربان وكثرة خلافهم .

فشيخه ، وتكفل له بتحصيل المال وتدنيس الأمور - وسار الى القاهرة ، فوضع يده فى مصادرات أبواب الأموال بمصر والقاهرة من الكتاب والتجار ، وقرع على الأملاك مالا ، وأحدث حوادث كثيرة ، وجمع مالا عظيما . أمد به السلطان .

فكثر تمكنه منه ، وقويت يده ، وتوفرت مهابته ... بحيث انه لما انتقضت نوبة دمياط ، وعاد الملك الكامل الى قلعة الجبل ، كان ينزل اليه ، ويجلس عنده بمنظرته الى كانت على الخليج ، يتحدث معه فى مهمات الدولة . ولم يزل على ذلك الى أن مات بالقاهرة ، وهو وزير ، فى يوم الجمعة ثامن شعبان سنة اثنتين وعشرين وستمائة .

وكان بعيد العور ، جماعا للمال ضابطا له من الاتفاق فى غير واجب . قد ملأ هيه الصدور ، وانقاد له على الرغم والرضا الجبهور ، وأخذ جبرات الرجال وأضرهم رمادا لم يخطر إيقاده على بال . وبلغ عند الملك الكامل بحيث انه بعث اليه بابنيه الملك الصالح نجم الدين أيوب والملك العادل أبى بكر ، ليؤروا فى يوم عيد ، فقاما على رأسه قياما ، وأنشد زكى الدين أبو القاسم عبد الرحمن بن وهيب القومى قصيدة ، زاد فيها حين رأى الملكين قياما على رأسه :

لو لم تقم لله حق قيامه

ما كنت تقعد والملوك قيام

وقطع فى وزارته الأزواق ، وكان جملتها أربعمائة ألف دينار فى السنة ، وتسارع أرباب الحوائج والأطماع ومن كان يخافه الى بابه ، وملاوا طرقاته ... وهو يهينهم ، ولا يحفل

بشيخ منهم وهو عالم ، وأوقع بالرؤساء ، وأرباب البيوت ، حتى استأصل شأقتهم عن آخرهم ، وقدم الأراذل فى مناصبهم .

وكان يجلدا قويا . حل به مرة دوسطاريا قوية وأرمنت ، فقيس منه الأطشاء ، وعندما اشتد به الوجع ، وأشرف على الهلاك ، استلقى بحشرة من وجوه الكتاب كانوا فى حبه ، وقال : « أنتم فى راحة وأنا فى الألم ... كلا والله ! واستحضر المعاصير وآلات العذاب وعذبهم ، فصاروا يصرخون من العذاب ، وهو يصرخ من الألم طول الليل الى الصباح ، وبعد ثلاثة أيام ركب .

وكان يقول كثيرا : « لم يبق فى قلبى حسرة الا كون اليسانى لم تتمرغ شيبته على عتباتى — يعنى القاضى الفاضل عبد الرحيم اليسانى فانه مات قبل وزارته — » وكان يرى اللون تعلوه حسرة ، ومع ذلك فكان طلق المحيا ، حلو اللسان ، حسن الهيئة ، صاحب دهاء ، مع هوح وخبت ، فى طش ورعونة مفرطة ، وحقد لا تخبو ناره ، ينتقم ونظن أنه لم ينتقم فيعود .

وكان لا ينام عن عدوه ، ولا يقبل معذرة أحد ، ويتخذ الرؤساء كلهم أعداءه ، ولا يرضى لعدوه بدون الهلاك والاستئصال ، ولا يرحم أحدا اذا اتهم منه ، ولا يبالى بقايقه ، وكان له ولأهله كلمة يرونها ، ويميلون بها كما يميلون بالأقوال الالهية ، وهى « اذا كنت ديمقافلا تكن وتدا » ، وكان الواحد منهم يعيدها فى اليوم مرات ، ويجعلها حجة عند انتقامه

وكان قد استولى على الملك العادل ظاهرا وباطنا ، ولا يمكن أحدا من الوصول اليه ...

وأخذته مرة مرض من حمى قوية ، وحدث به النفاض هو فى مجلس السلطان ينفض الأشمال ، مما تأثر ، ولا ألقى جنبه الى الأرض حتى ذهب هو كذلك .

كان تبرز على الملوك الجابرة ، وتقف الرؤساء على إبه من نصف الليل ومعهم المشاعل والشمع . وعند الصباح يركب فلا يراهم لا يرونه ، لأنه إما أن تقع رأسه الى السماء تمها . وإما أن يبرج الى طريق غير التى هم بها . وإما أن تأمر الحادرة التى فى كابه بضرب الناس ولطردهم من طريقه ، ويكون الرحا قد وقف على إبه طول الليل ، أما من أوله ، أو من نصفه ، بعلمانه ودوابه ، فيطرد عه ولا درا .

كان له نواب يأخذ من الناس مالا كثيرا ، ومع ذلك ينجهم اهانة مفردة ، وعليه للصاحب فى كل حرم حصة دنائير .. منها دساران برسم الفقهاء ، ثلاثة دنائير برسم العلوى وكسوة غلمانه ، وتنفقاته عليه أيضا ، ومع ذلك اقتنى عقارا وقرى

ولما كان بعد موت الصاحب ، قدم من بغداد رسول الخليفة الظاهر — وهو محبى الدين أبو المظفر بن الحوزى — ومعه خلع الخليفة للملك الكامل ، وخلع لأولاده ، وخلعة للصاحب صنى الدين ، فلبسها فخر الدين سليمان كاتب الانشاء

وقبض الملك الكامل على أولاده تاج الدين يوسف ، وعز الدين محمد ، وحبسهما ، وأوقع الحوطة على سائر موجوده . رحمه الله وغفا عنه .

حتى الطبيب والحاجب والفرائن عليهم عيون له ، لا يتكلم أحد منهم بصل كلمه خوفا منه . وكان أكبر أغراضه اداة أبواب السوب ، ومحمو آكارهم ، وهدم دبارهم تقريب الأسقاط وشراء الفقهاء . كان لا يأخذ من مال السلطان فلسا . لا ألف دينار ، ويظهر أمانة مفردة ، فإذا لاح له مال عظيم احتججه وبلغ اقطاعه فى السنة مائة ألف دينار وعشرين ألف دينار .

وكان قد عصى ، فأخذ يظهر جلدا عظيما وعدم استكانة ، اذا حضر اليه الأمراء والأكابر ، وجلسوا على حوانه ، يقول قدموا اللون الفلانى للأمير فلان . والصدر فلان ، والقاضى فلان ، هو ييسى أموى . فى مرة مكان المشار اليه برموز ومدمام يكابر فيها دوائر الزمان

وكان يتشبه فى ترسله بالقاضى الفاضل ، وفى محاضراته بالوزير عون الدين بن هبة حتى اشتهر عه ذلك ولم يكن فيه أهلة هذا ، ولكنه كان من دهاة الرجال . وكان اما لحظ شخصا لا يقع له الا بكثرة الضى ونهاية الرفعة ، واذا غضب على أحد لا يقع فى شأنه الا بسحو أثر من الوجود ، وكان كثيرا ما ينشد :

اذا حقرت امرأ فاحذر عداوته  
من يزور الشوك لم يحصد به عبا  
وينشد كثيرا :

تود عدوى ثم تزعم أنى  
صديقك ان الرأى عنك لمازب

بالرصد مرصفا عليه فيه ، لأنه كان مسجده ،  
فأقام مدة سنين على هذه الصورة .

فلما كان في بعض الأيام وجد غرة من  
الترسمين ، فحضر الى دار الوراثة بالقاهرة .  
فبلغ الصادل حضوره فخرج اليه ، فقال له  
الفقيه : اعلم والله أني لا حالتك ولا أبرئك ،  
أنت تتقدمني الى الله في هذه المدة ، وأنا  
بملك أطلالك بين يدي الله تعالى . وتركه وعاد  
الى مكانه .

فحضر الشريف فخر الدين بن ثعلب الى  
الملك العادل ، فوجده متألما حزنا ، فسأله ،  
فعره ، فقال : يامولانا ، ولم تجرد السم في  
نفسك ؟

فقال : خذ كل ما وفعت الحوطة عليه ، وكل  
ما استخرج من أجرة أملاكه ، وطيب خاطره .  
وأما الفقيه ضياء الدين ، فانه أصبح ،  
وحضرت اليه جماعة من الطلبة \* للقاء  
عليه ، فقال لهم : رأيت البارحة النبي صلى الله  
عليه وسلم وهو يقول : يكون فرجك على يد  
رجل من أهل بيتي صحيح النسب .

فبينما هم في الحديث ، وإذا بفيرة ثارت  
من جهة القرافة ، فانكشفت عن الشريف بن  
ثعلب ، ومعه الموجود كله . فلما حضر عرقه  
الجماعة النام ، فقال : ياسيدي اشهد على  
أن جميع ما أملكه وقف وصدقة ، شكرا لهذه  
الرؤيا .

وخرج عن كل ما يملكه ، وكان من جملة  
ذلك المدرسة الشريفة لأنها كانت مسكنه ،  
ووقف عليها أملاكه ، وكذلك فعل في غيرها .

(\*) من ٢٧٢ ج ٢ ، ط . بولاق .

هذه المدرسة بدرب كركامة ، على رأس  
حارة الجودرية ، من القاهرة . وقفها الأمير  
الكبير الشريف فخر الدين أبو نصر اسماعيل  
ابن حسن الدولة فخر العرب ثعلب بن يعقوب  
ابن مسلم بن أبي جميل حية بن جعفر بن  
موسى بن ابراهيم بن اسماعيل بن جعفر بن  
محمد بن علي بن عبد الله بن جعفر بن أبي  
طالب ، رضى الله عنه ، الجعفرى الزينى ،  
أمير الحاج والزائر ، وأحد أمراء مصر في  
الدولة الأيوبية ، وتمت في سنة اثنتي عشرة  
وستمائة ، وهى من مدارس الفقهاء الشافعية .

قال ابن عبد الظاهر : وجرى له في وقفها  
حكاية مع الفقيه ضياء الدين بن الوراق .  
وذلك أن الملك العادل سيف الدين أبا بكر  
( يعنى ابن أيوب ) لما ملك مصر — وكان قد  
دخلها على أنه نائب للملك المنصور محمد بن  
العزى عثمان بن صلاح الدين يوسف ، فقوى  
عليه ، وقصد الاستبداد بالملك — فأحضر  
الناس للحلف ، وكان من جملتهم الفقيه ضياء  
الدين بن الوراق ، فلما شرع الناس في  
الحلف ، قال الفقيه ضياء الدين : ما هذا  
الحلف ؟ بالأس حلقتم للمنصور ، فإن كانت  
تلك الأيمان باطلة فهذه باطلة ، وإن كانت تلك  
صحيحة فهذه باطلة .

فقال صاحب صفى الدين بن شكر  
للعادل : أقصد عليك الأمور هذا الفقيه  
— وكان الفقيه لم يحضر الى ابن شكر ولا  
سلم عليه — فأمر العادل بالحوطة على جميع  
موجود الفقيه وماله وأملاكه ، واعتقاله

أيديكين البندقدارى الصالحى فى نيازة السلطنة  
بديار مصر قواظب الجلوس بالمدارس  
الصالحية هذه مع نواب دار العدل ، واتصّب  
لكشف المظالم ، واستمر جلوسه بها مدة .

ثم ان الملك السعيد ناصر الدين محمد يركه  
خان ابن الملك الظاهر بيبرس ، وقف الصاغة  
التي تجاهها ، وأماكن بالقاهرة وبمدينة المحلة  
الغربية ، وقطع أراضى جزائر بالأعمال الجيزية  
والأطليحية ، على مدرسين أربعة ، عند كل  
مدرس معيدان وعدة طلبة ، وما يحتاج اليه من  
أئمة ومؤذنين وقومة وغير ذلك وثبت وقف  
ذلك على يد قاضى القضاة تقي الدين محمد  
ابن الحسين بن رزين الشافعى ، ونفذه قاضى  
القضاة شمس الدين أبو البركات محمد بن  
هبة الله بن شكر المالكي ، وذلك فى سنة  
سبع وسبعين وستمائة ، وهى جارية فى وقفها  
الى اليوم .

فلما كان فى يوم الجمعة حادى عشرى ربيع  
الأول سنة ثلاثين وسبعمائة ، رتب الأمير جمال  
الدين أقوش — المعروف بنائب الكرك —  
جمال الدين الغزاوى خطيبا بآيوان الشافعية  
من هذه المدرسة ، وجعل له فى كل شهر  
خمسین درهما ، ووقف عليه وعلى مؤذنين  
وقفا جاريا ، فاستمرت الخطبة هناك الى يومنا  
هذا .

« قبة الصالح : هذه القبة بجوار المدرسة  
الصالحية ، كان موضعها قاعة شيخ المالكية .  
بنتها عصمة الدين ، والدة خليل ، شجرة الدر  
لأجل مولاهما الملك الصالح نجم الدين أيوب  
عندما مات — وهو على مقابلة الفرنج بتاحية  
المنصورة — فى ليلة النصف من شعبان سنة

ولم يحال الفقيه الملك العادل ، ومات الملك  
العادل بعد ذلك ، ومات الفقيه بعده بمدة ،  
ومات الشريف اسماعيل بن ثعلب بالقاهرة فى  
سابع عشر رجب سنة ثلاث عشرة وستمائة .

#### المدرسة الصالحية

هذه المدرسة بخط بين القصرين من  
القاهرة . كان موضعها من جملة القصر الكبير  
الشرقى ، فبنى فيه الملك الصالح نجم الدين  
أيوب هاتين المدرستين ، فابتدأ بهدم موضع  
أيوب هاتين المدرستين ، فابتدأ بهدم موضع  
هذه المدارس فى قطعة من القصر ، فى ثالث  
عشر ذى الحجة سنة تسع وثلاثين وستمائة ،  
وذلك أساس المدارس فى رابع عشر ربيع الآخر  
سنة أربعين ، ورتب فيها دروسا أربعة للفقهاء  
المنتخبين الى المذاهب الأربعة فى سنة إحدى  
وأربعين وستمائة . وهو أول من عمل بديار  
مصر دروسا أربعة فى مكان .

ودخل فى هذه المدارس باب القصر المعروق  
بباب الزهومة ، وموضع قاعة شيخ الحابلية  
الآن ، ثم اختط ما وراء هذه المدارس فى سنة  
بضع وخمسين وستمائة ، وجعل حكر ذلك  
للمدرسة الصالحية

وأول من درس بها من الحابلية قاضى القضاة  
شمس الدين أبو بكر محمد بن الصادق إبراهيم  
ابن عبد الواحد بن على بن سرور ، المقدسى  
الحنبلئ الصالحى .

وفى يوم السبت ثالث عشرى شوال سنة  
ثمان وأربعين وستمائة ، أقام الملك المزعز  
الدين أيك التركمانى ، الأمير علاء الدين

وقطع الممالك شعور رؤوسهم ، وسأروا به  
الى هذه القبة ، فدفن ليلة السبت \* .

فأصبح السلطانان ، ونزلا الى القبة ، وحضر  
القضاة وسائر الممالك ، وأهل الدولة وكافة  
الناس ، وغلقت الأسواق بالقاهرة ومصر ،  
وعمل عزاء للملك الصالح بين القصرين  
بالدفوف مدة ثلاثة أيام ، آخرها يوم الاثنين ،  
ووضع عند القبر سناجق السلطان وبقيته  
وتركائمه وقوسه ، ورتب عنده القراء على ما  
شرطت شجرة الدر في كتاب وقته ، وجعلت  
النظر فيها للصاحب بهاء الدين على بن حنا  
وذريته ، وهى ييدهم الى اليوم .

وما أحسن قول الأديب جمال الدين أبى  
المظفر عبد الرحمن بن أبى سعيد محمد بن  
محمد بن عمر بن أبى القاسم بن تخش  
الواسطى - المعروف بابن السيرة الشاعر -  
لما مر هو والأمير نور الدين تكريت بالقاهرة  
بين القصرين ، ونظر الى تربة الملك الصالح  
هذه وقد دفن بقاعة شيخ المالكية ، فأشد :

بنيت لأرباب العلوم مدارس  
لتنجو بها من هول يوم الممالك

وضاقت عليك الأرض لم تلق منزلا  
تحل به الا الى جنب مالك

وذلك أن هذه القبة التى فيها قبر الملك  
الصالح ، مجاورة لايوان الفقهاء المالكية  
المنتسبين الى الامام مالك بن أنس رضى الله  
عنه ، فقصد التورية بمالك الامام المشهور ،  
ومالك خازن النار . أعاذنا الله منها .

سبع وأربعين ومستمائة . فكنتم زوجته  
شجرة الدر موته خوفا من الفرنج ، ولم تعلم  
بذلك أحدا سوى الأمير فخر الدين بن يوسف  
ابن شيخ الشيوخ ، والطواشى جمال الدين  
محسن فقط ، فكتما موته عن كل أحد .

وبقيت أمور الدولة على حالها ، وشجرة  
الدر تخرج المناشير والتواقيع والكتب ، وعليها  
علامة بخط خادم يقال له سهيل ، فلا يشك  
أحد فى أنه خط السلطان . وأشاعت أن  
السلطان مستمر المرض ، ولا يمكن الوصول  
اليه ، فلم يجسر أحد أن يتفوه بموت  
السلطان ... الى أن أفتدت الى حصن كيفا ،  
وأحضرت الملك المظلم توران شاه بن الصالح .

وأما الملك الصالح فإن شجرة الدر أحضرته  
فى حراقة من المنصورة الى قلعة الروضة ،  
تجاه مدينة مصر ، من غير أن يشعر به أحد  
الا من أثمته على ذلك . فوضع فى قاعة من  
قاعات قلعة الروضة الى يوم الجمعة السابع  
والعشرين من شهر رجب سنة ثمان وأربعين  
ومستمائة ، فنقل الى هذه القبة بعد ما كانت  
شجرة الدر قد عمرتها على ما هى عليه .

وخلمت نفسها من سلطنة مصر ، ونزلت  
عنها زوجها عز الدين أيك قبل قله ، فنقله  
المعز أيك ، ونزل ومعه الملك الأشرف موسى  
ابن الملك المسعود ، وسائر الممالك البحرية  
والجندارية والأمراء ، من قلعة الجبل الى قلعة  
الروضة . وأخرج الملك الصالح فى تابوت ،  
وصلى عليه بعد صلاة الجمعة ، وسائر الأمراء  
وأهل الدولة قد لبسوا البياض حزنا عليه ،



## المدرسة الكاملية

هذه المدرسة يخطط بين القصرين من القاهرة ، وتعرف بدار الحديث الكاملية ، أنشأها السلطان الملك الكامل ناصر الدين محمد ابن الملك العادل أبي بكر بن أيوب بن شادي بن مروان ، في سنة اثنتين وعشرين وستائة ، وهي ثاني دار عملت للحديث .

فان أول من بنى دارا على وجه الأرض الملك العادل نور الدين محمود بن زنكي بدمشق . ثم بنى الكامل هذه الدار ، ووقفها على المشتغلين بالحديث النبوي ، ثم من بعدهم على الفقهاء الشافعية ، ووقف عليها الربيع الذي بجوارها على باب الخرنشف ، يمتد الى درب المقابل للجامع الأحمر

وهذا الربيع من انشاء الملك الكامل ، وكان موضعه من جملة القصر الغربي ، ثم صار موضعا يسكنه القضاة . وكان موضع المدرسة سوقا للربيع ، ودارا تعرف بابن كستول .

وأول من ولي تدريس الكاملية : المحافظ أبو الخطاب عمر بن الحسن بن علي بن دحية ، ثم أخوه أبو عمرو عثمان بن الحسن بن علي ابن دحية ، ثم المحافظ عبد العظيم المنذري ، ثم الرشيد العطار

وما يرحت يد أعيان الفقهاء . الى أن كانت الحوادث والمحن منذ سنة ست وثمانائة فتلاشت كما تلاشى غيرها ، وولي تدرسها صبي لا يشارك الأناسي الا بالصورة ، ولا يمتاز عن البهيمة الا بالنطق ، واستمر فيها

دهرا لا يترمن بها ، حتى نسيت أو كادت تنسى دروسها . ولا حول ولا قوة الا بالله .

« الملك الكامل » ناصر الدين أبو المعالي محمد ابن الملك العادل سيف الدين أبي بكر محمد بن نجم الدين أيوب بن شادي بن مروان الكردي الأيوبي ، خامس ملوك بني أيوب الأكراد بديار مصر ، ولد في خامس عشر ربيع الأول سنة ست وسبعين وخمسائة ، وخلف أباه الملك العادل على بلاد الشرق .

فلما استولى على مملكة مصر ، قدم الملك الكامل الى القاهرة في سنة ست وتسعين وخمسائة ، ونصبه أبوه قائما عنه بديار مصر ، وأقطعه الشرقية ، وجعله ولي هذه ، وحلف له الأمراء ، وأسكنه قلعة الجبل ، وسكن العادل في دار الوزارة بالقاهرة ، وصار يحكم بديار مصر مدة غيبة الملك العادل ببلاد الشام وغيرها بفروده .

فلما مات الملك العادل ببلاد الشام ، استقل الملك الكامل بمملكة مصر في جنادى الآخرة سنة خمس عشرة وستائة ، وهو على محاربة الفرنج بالمنزلة العادلة قريبا من دمياط ، وقد ملكوا البر الغربي ، فثبت لقتالهم مع ما حدث من الوهن بموت السلطان .

وثار العربان بنواحي أرض مصر ، وكثر خلافهم ، واشتد ضرهم . وقام الأمير عماد الدين أحمد ابن الأمير سيف الدين أبي الحسين علي بن أحمد الهكاري ، المعروف بابن المشطوب — وكان أجل الأمراء الأكابر ، وله لئيف من الأكراد الهكارية — يريد خلق

الملك الكامل ، وتليك أخيه الملك الفائز  
إبراهيم بن العادل ، وواقفه على ذلك كثير من  
الأمراء .

فلم يجد الكامل بدا من الرحيل في الليل  
جريدة ، وسار من العادلية الى أشموم طباح  
وقول بها ، وأصبح العسكر بغير سلطان .  
فركب كل واحد هواء ، ولم يمرج واحد منهم  
على آخر ، وتركوا أقالهم وسائر ما معهم .  
فاغتتم الفرنج القرصة ، وعبروا الى بردمياط ،  
واستولوا على جميع ما تركه المسلمون ، وكان  
شيئا عظيما .

وهم الملك الكامل بمفارقة أرض مصر ، ثم  
ان الله تعالى لبته ، وتلاحقت به العساكر ، وبعد  
يومين قدم عليه أخوه الملك المعظم عيسى  
صاحب دمشق بأشموم فاشتد غضبه بأخيه ،  
وأخرج ابن المشطوب من العسكر الى الشام ،  
ثم أخرج الفائز إبراهيم الى الملوك الأيوبيّة  
بالشام والشرق يستغفرهم \* لجهاد الفرنج .

وكتب الملك الكامل الى أخيه الملك الأشرف  
موسى شاه يستحثه على الحضور ، وصدر  
المكاتبة بهذه الأيات :

يا مسعدى ان كنت حقاً مسعياً  
فانفض بغير تلبث وتوقف  
واحث قلوصك مرقلاً أو موجفاً  
بتجشم في سيرها وتعصف  
واطو المنازل ما استطعت ولا تنخ  
الا على باب الملك الأشرف  
واقر السلام عليه من عبد له  
متوقع لقدمه متشوف

(\*) ص ٢٧٥ ج ٢ ، ط. بولاق د

واذا وصلت الى حماء فقل له  
عنى بحسن توصل وتلطف  
ان تأت عبدك عن قليل تلقه  
ما بين كل مهند ومثقف  
أو تبط عن مجاده فلقاؤه  
بك في القيامة في عراض الموقف

وجدد الكامل في قتال الفرنج ، وأمر بالنفير  
في ديار مصر ، رأته الملوك من الأطراف .  
فقدر الله أخذ الفرنج لدمياط ، بعدما حاصروها  
سنة عشر شهرا واثنتين وعشرين يوما ،  
ووضعوا السيف في أهلها . فرحل الكامل من  
أشموم ، ونزل بالمنصورة ، وبث يستغفر  
الناس ، وقوى الفرنج حتى بلغت عدتهم نحو  
المائتى ألف راجل وعشرة آلاف فارس .

وقدم عامة أهل أرض مصر ، وأتت التجذات  
من البلاد الشامية وغيرها فصار المسلمون  
في جمع عظيم الى العاية ، بلغت عدة فرسانهم  
خاصة نحو الأربعين ألفا .. وكانت بين  
الفريقين خطوب آلت الى وقوع الصلح ،  
وتسلم المسلمون مدينة دمياط في تاسع عشر  
رجب سنة ثمان عشرة وسنائة ، بعدما أقامت  
بيد الفرنج سنة وأحد عشر شهرا تنقص ستة  
أيام ، وسار الفرنج الى بلادهم .

وعاد السلطان الى قلعة الجبل ، وأخرج كثيرا  
من الأمراء الذين وافقوا ابن المشطوب من  
القاهرة الى الشام ، وفرق أخبازهم على  
مماليكه . ثم تخوف من أمرائه في سنة إحدى  
وعشرين بميلهم الى أخيه الملك المعظم ، فقبض  
على جماعة منهم ، وكتب أخاه الملك الأشرف  
في موافقته على المعظم . فقويت الوحشة بين

الكامل والمعظم ، واشتد خوف الكامل من  
عسكره ، وهم أن يخرج من القاهرة لقتال  
المعظم ، فلم يحصر على ذلك .

وقدم الأشراف الى القاهرة ، فسر بذلك  
سرورا كثيرا ، وتحالفا على المعاضدة ،  
وسافر من القاهرة فسال مع المعظم فتجير  
الكامل في أمره ، وبث الى ملك الفرنج  
يستدعيه الى عكا ، ووعدة بأن يمكنه من بلاد  
الساحل ، وقصد بذلك أن يشغل سر أخيه  
المعظم فلما بلغ ذلك المعظم خطب للسلطان  
جلال الدين الخوارزمي ، وبث يستنجد به  
على الكامل ، وأبطل الحطة للكامل .

فخرج الكامل من القاهرة يريد محاربته في  
رمضان سنة أربع وعشرين ، وسأ الى  
العباسة ، ثم عاد الى قلعة الجبل ، وقض  
على عدة من الأمراء وممالك أيه لمكاتنتهم  
المعظم ، وأتفق في العسكر . فاتفق موت الملك  
المعظم في سلخ ذي القعدة ، وقيام ابنه الملك  
الناصر داود بسلطنة دمشق ، وطله من الكامل  
المواعدة ، فبعث اليه خلمة سنة وسنجقا  
سلطانيا ، وطلب منه أن ينزل له عن قلعة  
الشوبك ، فامتنع الناصر من ذلك ، فوقعت  
المنافرة بينهما

وعهد الملك الكامل الى ابنه الملك الصالح  
نجم الدين أيوب ، وأركبه بشعار السلطنة ،  
وأنزله بدار الوزارة ، وخرج من القاهرة في  
الساكر يريد دمشق ، فأخذ نابلس والقدس .  
فخرج الناصر داود من دمشق ومعه عه  
الأشراف ، وسارا الى الكامل يطلبان منه  
الصلح .

فلما بلغ ذلك الكامل رحل من نابلس يريد  
القاهرة ، فقدمها الناصر والأشراف ، وأقام بها  
الناصر ، وسار الأشراف والمجاهد الى الكامل ،  
فأدركاه بقل المحوز ، فأكرهما وقرر مع  
الأشراف انتزاع دمشق من الناصر واعطاءها  
للأشراف ، على أن يكون للكامل ما بين عبة  
أفيق الى القاهرة ، وللأشراف من دمشق الى  
عبة أفيق ، وأن يعين بجماعة من ملوك بنى  
أيوب .

فاتفق قدوم الملك الانبرطور الى عكا  
باستدعاء الملك الكامل له ، فتجير الكامل في  
أمره لمجزه عن محاربته ، أخذ يلاطفه .  
وشرع الفرنج في عمارة صدا - وكانت  
مناصفة بين المسلمين والفرنج وسورها  
خراب - فلما بلغ الناصر موافقة الأشراف  
للكامل ، عاد من نابلس الى دمشق ، واستعد  
للحرب . فسار اليه الأشراف من قل العجوز ،  
وحاصره بدمشق .

وأقام الكامل قل العجوز ، وقد تورط مع  
الفرنج ، فلم يجد بدا من اعطائهم القدس ،  
على ألا يجند سورده ، وأن تبقى الصخرة  
والأقصى مع المسلمين ، ويكون حكم قرى  
القدس الى المسلمين ، وأن القرى التي فيما  
بين عكا ويافا وبين لد والقدس للفرنج .  
وانقضت الهدنة على ذلك لمدة عشر سنين  
 وخسة أشهر وأربعين يوما ، أولها ثامن ربيع  
الأول سنة ست وعشرين .

ونودي \* في القدس بخروج المسلمين  
منه ، وتسليمه الى الفرنج . فكان أمرا مهولا  
من شدة البكاء والصراخ ، وخرجوا بأجمعهم

(هـ) من ٢٧٦ ج٢ ، ط١٠ بولاق .

فصاروا الى مخيم الكامل ، وأذنوا على بابه  
فى غير وقت الأذان . فشق عليه ذلك ، وأخذ  
منهم السور وقتاديل القصة والآلات  
وزجرهم ، وقيل لهم امضوا حيث شئتم . فعظم  
على المسلمين هذا ، وكثر الانكار على الملك  
الكامل ، وشنت المقالة فيه .

وعاد الانبرطور الى بلاده بصحبا دخل  
القدس ، وكان مسيره فى آخر جمادى الآخرة  
سنة ست وعشرين . وسير الكامل الى الإفاق  
بتسكين قلوب المسلمين وازعاجهم لأخذ  
الفرنج القدس ، ورحل من تل المجوز يريد  
دمشق ، والأشرف على محاصرتها ، فجد فى  
القتال .

واشتد الأمر على الناصر الى أن ترامى فى  
الليل على الملك الكامل ، فأكرمه وأعادته الى  
قلمة دمشق ، وبث من تسليها منه ، وعوضه  
عن دمشق الكرك والشوبك والصلت والبقاء  
والأنوار ونابلس وأعمال القدس ، ثم ترك  
الشوبك للكامل مع عدة مما ذكر .

وتسلم الكامل دمشق فى أول شعبان ،  
وأعطاهما للأشرف ، وأخذ منه ما معه من بلاد  
الشرق ، وهى حران والرها وسروج وغير  
ذلك . ثم سار الكامل ، فأخذ حماء ، وتوجه  
منها فقطع الثرات ، ثم سار الى جعبر والركة ،  
ودخل حران والرها ، ورتب أمورهما ، وأتته  
الرسل من ماردین وآمد والموصل وأربل وغير  
ذلك ، وأقيمت له الخطبة بماردین ، وبث  
يستدعى عساكر الشام لقتال الخوارزمى وهو  
بخلط .

ثم رحل الكامل من حران لأمور حدثت ،  
وسار الى مصر . فدخلها فى شهر رجب سنة

مسبع وعشرين ، وقد تغير على ولده الملك  
الصالح نجم الدين أيوب ، وخلعه من ولاية  
المهد ، وعهد الى ابنه الملك العادل أبى بكر ،  
ثم سار الى الاسكندرية فى سنة ثمان  
وعشرين ، ثم عاد الى مصر ، وحفر بحر النيل  
فيما بين المقياس وبر مصر ، وعمل فيه  
بنفسه ، واستعمل فيه الملوك من أهله والأمراء  
والجند . فصار الماء دائما فيما بين مصر  
والمقياس ، وانكشف البر فيما بين المقياس  
والنجزة فى أيام احتراق النيل .

وخرج من القاهرة الى بلاد الشام ، فى آخر  
جمادى الآخرة سنة تسع وعشرين ، واستخلف  
على ديار مصر ابنه العادل ، وأسكنه قلعة  
الجبل ، وأخذ الصالح معه . فدخل دمشق  
من طريق الكرك ، وخرج منها لقتال التتر ،  
وجعل ابنه الصالح على مقدمته ، فسار الى  
حران ، فرحل التتر عن خلط . ثم رحل الى  
الرها ، وسار الى آمد ونازلها حتى أخذها ،  
وأنعم على ابنه الصالح بحصن كيننا وبمشه  
اليه ، وعاد الى مصر فى سنة ثلاثين ، فقبض  
على عدة من الأمراء .

ثم خرج فى سنة احدى وثلاثين الى  
دمشق ، وسار منها ودخل الدريند ، وقد  
أعجبه كثرة عساكره ، فانه اجتمع معه ثمانية  
عشر طلبا لثمانية عشر ملكا ، وقال : هذه  
العساكر لم تجتمع لأحد من ملوك الاسلام ،  
ونزل على النهر الأزرق بأول بلد الروم ، وقد  
نزلت عساكر الروم ، وأخذت عليه رأس  
الدريند ومنعوه ، فتحير قلعة الأقوات عنده ،  
ولاختلاف ملوك بنى أيوب عليه ، ورحل الى  
مصر وقد قصد ما بينه وبين الأشرف وغيره .

وأخذ ملك الروم الرها وحران بالسيف .  
ففتنهم الكامل وخرج بمساركه من القاهرة في  
سنة ثلاث وثلاثين ، وسار الى الرها ، ورساها  
حتى أخذها وهم قلعها ، وأخذ حران بعد  
قتال شديد ، وبث سن كان فيها من الروم الى  
القاهرة في القيود — وكانوا زيادة على ثلاثة  
آلاف نفس — ثم خرج الى مصر ، عاد الى  
دمشق ، وسار منها الى القاهرة ، فدخلها في  
سنة أربع وثلاثين .

ثم خرج في سنة خمس وثلاثين ، ونزل  
على دمشق وقد امتعت عليه ، فصايقها حتى  
أخذها من أخيه الملك الصالح اسماعيل ،  
وعوضه عنها بملكك مصرى وغرهما في  
تاسع عشر جمادى الأولى ، ونزل بالقلعة ،  
وأخذ يتجهز لأخذ حلب .

وقد نزل به زكام ، فدخل في ابتدائه  
الحمى ، فاندفعت المواد الى معدته فتورم ،  
وثارت فيه حمى : فنهاه الأطباء عن القيء ،  
وحذروه منه ، فلم يصبر وتقأ ، فمات لوقته  
في آخر نهار الأربعاء حادى عشرى رجب  
سنة خمس وثلاثين رستمائة عن ستين سنة .  
منها ملكه أرض مصر نحو أربعين سنة ، استبد  
فيها بعد موت أبيه مدة عشرين سنة وخمسة  
وأربعين يوما .

وكان يحب العلم أهله ، ويؤثر مجالستهم ،  
وشغف بسماع الحديث السوى وحدث ، وبني  
دار الحديث الكاملة بالقاهرة . وكان نساظر  
العلماء ، ويسمحتهم بمسائل غريبة من فقه  
ونحو ، فمن أجاب عنها حظى عنده . وكان  
يبيت عنده بقلعة الجبل عدة من أهل العلم ،  
على أسرة بجانب سريره ، ليامروه . وكان

للعلم والأدب عنده نفاق ، فقصصه الناس  
لذلك ، وصار يطلق الأرزاق الدارة لمن يتعده  
لهذا .

وكان مهابا حازما ، شديد الرأي ، حسن  
التدبير ، غفيا عن الدماء . وكان يباشر أمور  
ملكته بنفسه ، من غير اعتماد على وزير ولا  
غيره ، ولم يتوزر بعد الصاحب صفى الذين  
عبد الله بن على بن شكر أحدا ، وإنما كان  
يتدب من يختاره لتدبير الأشغال ، ويعضف  
عنده النواوين ، ويحاسبهم بنفسه .

وأذا ابتدأت زيادة النيل خرج ، وكشف  
الجسور ، وربت الأمراء لملها . فإذا انتهى  
عمل الجسور خرج ثانيا ، وتفقدتها بنفسه ،  
فإن وقف فيها على خلل عاقب متوليها أنسد  
العتوة . فعمرت أرض مصر في أيامه عمارة  
جيدة

وكان يخرج من زكوات الأموات التي تجبى  
من الناس سعى الفقراء والمساكين ، ويعين  
مصرف ذلك لمستحقه شرعا ، ويفرز منه  
معاليم الفقهاء والصلحاء . وكان يحلس كل  
ليلة جمعة مجلسا لأهل العلم ، فيجتمعون عنده  
للمناظرة . وكان كثير السياسة ، حسن  
المدارة ، وأقام على كل طريق خفراء لحفظ  
المسافرين . إلا أنه كان مغرما بجمع المال ،  
مجتهدا في تحصيله ، وأحدث في البلاد  
حوادث سماها « الحقوق » لم تعرف قبله .

ومن شعره قوله ، رحمه الله تعالى :

إذا تحققت ما عند صاحبكم  
من الغرام فذاك القدر يكفيه

( ١٥ ) من ٢٧٧ ج ٢ ، ط. بولاق .

لتم سكنتم قوادى وهو منزلكم  
وصلح اليت أدري بالذى فيه

وقال له الطيب علم الدين أبو النصر  
يرجس بن أبي حليقة ، فى اليوم الذى مات  
فيه ؟ كيف نوم السلطان فى ليله ؟ فأنشد :

ياخلى خبرانى بصدق  
كيف علم الكرى فانى نسيت

ودفن أولا بقلعة دمشق ، ثم نقل الى جوار  
جامع بنى أمية ، وقبره هناك . رحمه الله  
تعالى .

#### المدرسة الصيرية

هذه المدرسة من داخل باب الجبلون  
الصغير ، بالقرب من رأس سوقة أمير  
الحيوش ، فيما بينها وبين الجامع الحاكمى  
بجوار الزيادة . بناها الأمير جمال الدين شونخ  
ابن صيرم ، أحد أمراء الملك الكامل محمد  
ابن أبى بكر بن أيوب ، وتوفى فى تاسع عشر  
صفر سنة ست وثلاثين وستائة .

#### المدرسة السرورية

هذه المدرسة بالقاهرة داخل درب شمس  
الدولة . كانت دار شمس الخواص مسرور ،  
أحد خدام القصر ، فجعلت مدرسة بعد وفاته  
بوصيته ، وأن يوقف الفندق الصغير عليها .  
وكان بناؤها من ثمن ضيعة بالشام كانت بيده  
يتم بعد موته ، وتولى ذلك القاضي كمال  
الدين خضر ، ودرس فيها .

وكان مسرور ممن اختتم بالسلطان صلاح  
الدين يوسف بن أيوب ، فقدمه على حلقته ،  
ولم يزل مقدما الى الأيام الكاملية ، فانقطع  
الى الله تعالى ، ولزم داره الى أن مات ، ودفن  
بالقرافة الى جانب مسجده . وكان له بن  
واحد معروف ، ومن آثاره بالقاهرة فندق  
يعرف اليوم بخان مسرور الصفدى ، وله ربع  
بالشارع .

#### المدرسة القويصة

هذه المدرسة بالقاهرة ، فى درب سيف  
الدولة ، بالقرب من درب ملوخيا . أنشأها  
الأمير الكردي والى قوص .

#### مدرسة بعارة الديلم

\*\*\* \*\*

#### المدرسة الظاهرية

هذه المدرسة بالقاهرة من جملة حظ بين  
القصرين . كان موضعها من القصر الكبير  
يعرف بقاعة الخيم ، وقد تقدم ذكرها فى  
أخبار القصر . ومما دخل فى هذه المدرسة  
باب الذهب المذكور فى أبواب القصر .

فلما أوقع الملك الظاهر بيبرس البندقدارى  
الحولة على القصور والمناظر — كما تقدم  
ذكره — نزل القاضي كمال الدين طاهر ابن  
الفييه نصر وكيل بيت المال ، وقوم قاعة الخيم  
هذه ، وابتاعها الشيخ شمس الدين محمد بن  
الصاد إبراهيم المقدسى ، شيخ الحنابلة ومدرس

المدرسة الصالحة النجبية ، ثم باعها المذكور  
للسلطان ، فأمر بهدمها وبناء موعدها مدرسة .

فابتدىء بعمارها من ثمان مئة سنة  
ستين وستائة ، وفرغ منها في سنة اثنتين  
وستين وستائة . ولم يعم الشرع في سائر  
حتى رتب السلطان وقفها - ركاب الشام -  
فكتب بما ربه إلى الأمير جمال الدين بن  
يغصور ، وأمره بعمل فيها أحداً من  
أجرة ، ولا ينقص من أجره شيئاً .

فلما كان يوم الأحد خامس صفر سنة اثنتين  
وستين وستائة ، اجتمع أهل العلم بها  
- وقد فرغ منها - وحضر القراء ، وجلس  
أهل الدروس كلها طائفة في إيوانها منها  
الشافعية بالإيوان القبلي ، ومدرسه الشيخ  
تقي الدين محمد بن الحسن بن زرين  
الحسوي . والحنفية بالإيوان البحري ،  
ومدرسه الصدر مجتهد الدين عبد الرحمن بن  
الصاحب كمال الدين عمر بن المدم الحلي  
وأهل الحديث بالإيوان السوقي ، ومدرسه  
الشيخ شرف الدين عبيد المؤمن بن خلف  
الدمياطي والقراء بالقراءات السبع بالإيوان  
العربي ، وشيخهم الفقيه كمال الدين المحلي  
وقرروا كلهم الدروس ، وناظروا في علومهم ،  
ثم مدت الأسطة لهم فاكلوا ، وقام الأديب  
أبو الحسين الجزار فأندس .

ألا هكذا يبنى المدارس من بني  
ومن يتعالى في الثواب وفي الثناء

لقد ظهرت للظاهر الملك همة  
بها اليوم في الدارين قد بلغ المنا

(ج) ٣٧٨ ج ٢ ، ط - بولاق .

تجمع قبسها كل حسن مظرف  
فراقت قلوبها للأفام وأعتاب

ومذبحا ورت قبر الشهيد ففصه الله

نيسة منها في سرور وفي هنا

وما هي إلا حنة الخلد أزلت

له في غد فاختار تسجيلا هنا

وقال المراج الوواق أيضا قصيدة منها :

ملك له في العلم حب وأهله

فله حب لن فيه ملام

فشيدها للعلم مدرسة غدا

عراق إليها شج وشام

ولا تذكرن يوما نظامية لها

فلس ضاهي ذا النظام نظام

ولا تذكرن ملكا فيبرس مالك

وكل ملك في يديه غلام

ولما بناها زعزت كل بعة

متى لاح صبح فاستقر ظلام

وقد برزت كالروض في الحسن أنبات

بأن يديه في النوال غمام

ألم تر محرابا كان أزاهرا

تفتح عنهن الصداة كمام

وقال الشيخ جمال الدين يوسف بن

الخشاب .

قصده الملوك حماك والخلفاء

فأفخر فإن مطلق الجوزاء

أنت الذي أمراؤه بين الوردى

مثل الملوك وجنده أمراء

بقية صالحة ، ونظرها تارة يكون يد الحفنة ،  
وأحيانا يد الشاقمة ، وسارع في نظرها أولاد  
الظاهر فيدفعون عنه الله عاقبة الأمور

### المدرسة المنصورية

هذه المدرسة من داخل باب المارستان  
الكبير المنصوري بخط بين القصرين  
بالقاهرة . أنشأها هي والقبّة التي تجاهها  
والمارستان الملك المنصور قلاوون الأتقي  
الصالح . على يد الأمر علم الدين سنجر  
الشجاع ، ورتب بها دروسا أربعة لطوائف  
الفقهاء الأربعة ، ودوسا للطب ، ورتب بالقبّة  
دوسا للحديث النبوي ، ودوسا لتفسير القرآن  
الكريم ومبادئ . وكانت هذه المدارس لا  
يلبثها الا أجل الفقهاء المتبرين ، ثم هي اليوم  
كما قيل .

تصدر للدرسين كل مهوس  
ليد يسمى بالفقيه المدرس  
فحق لأهل العلم أن يتملوا  
بيت قديم شاع في كل مجلس  
لقد هزلت حتى بدا . هزلها  
كلأها وحى سامها كل مفلس

« القبّة المنصورية » هذه القبّة تجاه  
المدرسة المنصورية ، وهما جسما من داخل باب  
المارستان المنصوري ، وهي من أعظم المباني  
الملوكية وأجلها قدرا . وبها قر نضمن الملك  
المنصور سيف الدين قلاوون ، رانه الملك  
الناصر محمد بن قلاوون ، الملك الصالح عماد  
الدين اسماعيل بن محمد بن قلاوون .

(\*) من ٢٧٩ ج ٢ ، ط. بولاق .

ملك تزنت الممالك باسمه  
وتحلت بمدبحه الفصحاء

وترفت لملايه خير مدارس  
حلت بـ حلما - الفضلاء

يبقى كما يبقى الزمان وملكه  
باق - ولحاسديه فاء

كم للفرنج وللتتار ساء  
رسل منهاها الصعو والاعفاء

وطريفه لبلادهم موطوءة  
وطريقهم لبلاد عذراء

دامت له الدنيا ودام مخلدا  
ما أقبل الاصباح والامساء

قلما فرغ هؤلاء الثلاثة من انسادهم ،  
أفيضت عليهم الحلع . وكان يوما منهموا

وجعل بها خزانة كتب تشمل على أمهات  
الكتب في سائر العلوم ، وبني بها مكتب  
لتعليم أيتام المسلمين كتاب الله تعالى وأجرى  
لهم الجرايات والكسوة ، أوفى عليها رح  
السلطان خارج باب زويلة ، فيما بين باب  
زويلة وباب الفرج ، ويعرف ذلك الحط اليوم  
به ، فيقال خط تحت الربع

وكان ربما كبيرا لكنه خرب منه عدة دور  
فلم تضر . وتحت هذا الربع عدة حوائط هي  
الآن من أجل الأسواق ، والبائس في سكنها  
رغبة عظيمة ، ويتنافسون فيها تامسا يرتفعون  
فيه الى الحكام .

وهذه المدرسة من أجل مدارس القاهرة ،  
الا أنها قد تقادم عهدها فرئت ، وبها الى الآن



أرى أهل الشراء اذا توفوا  
بنوا تلك المقابر بالصخور

آبوا الا مباحاة وتيسها  
على الفقراء حتى فى القبور

وفى هذه القبة دروس للفقهاء على المذاهب  
الأربعة ، وتصرف بدروس وقف الصالح .  
وذلك أن الملك الصالح عماد الدين اسماعيل  
ابن محمد بن قلاوون ، قصد عمارة مدرسة ،  
فاخترته النية دون بلوغ غرضه . فقام  
الأمير أرغون العلائى ، زوج أمه ، فى وقف  
قرية ، تعرف بدهش الحمام من الأعمال  
الشرقية ، عن أم الملك الصالح . فأنبت بطريق  
الوكالة عنها ، ورب ما كان الملك الصالح  
اسماعيل قرره فى حياته لو أنشأ مدرسة ،  
وجعل ذلك الأمير أرغون مرتباً لمن يقوم به  
فى القبة المنصورية . وهو وقف جليل يتحصل  
منه فى كل سنة نحو الأربعة آلاف دينار  
ذهبا .

ثم لما كانت الحوادث ، وخربت الناحية  
المذكورة ، تلاشى أمر وقف الصالح ، وفيه  
الى اليوم بقية . وكان لا يلى تدريس دروسه  
الا قضاة القضاة ، فوليه الآن الصياني ، ومن  
لا يؤهل — لو كان الانصاف — له .

وفى هذه القبة أيضا قراء يتناوبون القراءة  
بالشبايك المطلة على الشارع طول الليل  
والنهار ، وهم من جهة ثلاثة أوقاف : فطائفة  
من جهة وقف الملك الصالح اسماعيل ، وطائفة  
من جهة الوقف السيئى ، وهو منسوب الى  
الملك المنصور سيف الدين أبى بكر ابن الملك  
الناصر محمد بن قلاوون .

وبها قاعة جليلة فى وسطها فسقية يصل اليها  
الماء من فوارة بديعة الزى ، وسائر هذه القاعة  
مفروش بالرخام الملون . وهذه القاعة مصدة  
لاقامة الخدام الملوكة ، الذين يعرفون اليوم  
فى الدولة التركية بالطوائى : واحدهم  
« ملواشى » ، وهذه لفظة تركية أصلها بلفتهم  
« ملابوشى » ، فتلاعبت بها العامة وقالت :  
طواشى ، وهو الخصى .

ولهؤلاء الخدام فى كل يوم ما يكفيهم  
من الخبز النقى واللحم المطبوخ ، وفى كل  
شهر من المعاليم الوفرة ما فيه غيبة لهم .  
وأدركتهم ولهم حرمة وافرة ، وكلمة فافذة ،  
وجانب مرعى ، ويعد شيخهم من أعيان الناس  
يجلس على مرتبة ، وبقية الخدام فى مجالسهم  
لا يبرحون فى عبادة .

وكان يستقر فى وظائف هذه الخدمة أكابر  
خدام السلطان ، ويقيمون عنهم نوابا يواظبون  
الاقامة بالقبة ، ويرون — مع سعة أحوالهم ،  
وكثرة أموالهم — من تسام فخرهم وكمال  
سيادتهم ، انتماءهم الى خدمة القبة المنصورية ،  
ثم تلاشى الحال بالنسبة الى ما كان ، والخدام  
بهذه القاعة الى اليوم .

وقصد الملوك باقامة الخدام فى هذه القاعة ،  
التى يتوصل الى القبة منها ، اقامة تاموس  
الملك بعد الموت كما كان فى مدة الحياة ،  
وهم الى اليوم لا يكونون أحدا من الدخول  
الى القبة الا من كان من أهلها .

وشه در يحيى بن حكم البكرى الجياني  
المغربى — الملقب بالزال لجماله — حيث  
يقول :

وبهذه القبة امام راتب يصلى بالخدام والقراء وغيرهم الصلوات الخمس ، ويفتح له باب فيما بين القبة والحرب يدخل منه من يصلى من الناس ، ثم يطفى بعد انقضاء الصلاة .

وبهذه القبة خزانة جليلة . كان فيها عدة أحمال من الكتب فى أنواع العلوم ، مما وقفه الملك المنصور وغيره ، وقد ذهب معظم هذه الكتب ، وتفرقت فى أيدي الناس .

وفى هذه القبة خزانة بها ثياب المقصورين بها ، ولهم فراش معلوم بمعلوم لتمهيدهم ، ويوضع ما يتحصل من مال أوقاف المارستان بهذه القبة تحت أيدي الخدام

وكانت العادة أنه اذا أمر السلطان أحدا من أمراء مصر والشام ، فانه ينزل من قلعة الجبل وعليه التشريف والشريوش ، وتوقد له القاهرة ، فيمر الى المدرسة الصالحية بين القصرين ، وعمل ذلك من عهد سلطنة المعز أليك ومن بعده . فتقل ذلك الى القبة المنصورية ، وصار الأمير يحلف عند القبر المذكور ويحضر تحليفه \* صاحب الحجاب ، وتمتد أسطة جليلة بهذه القبة ، ثم ينصرف الأمير ، ويجلس له فى طول شارع القاهرة الى القلعة أهل الأغاني لتسزفه فى نزوله وصعوده . وكان هذا من جملة متنزعات القاهرة ، وقد بطل ذلك منذ انقرضت دولة بنى قلاوون .

ومن جملة أخبار هذه القبة أنه لما كان فى يوم الخميس مستهل المحرم سنة تسعين

وستمائة ، بعث الملك الأشرف صلاح الدين خليل بن قلاوون بجملة مال تصدق به فى هذه القبة ، ثم أمر بنقل أبيه من القلعة

فخرج سائر الأمراء ، ونائب السلطنة الأمير بيدرا بدر الدين ، والوزير صاحب شمس الدين محمد بن السلوس التنوخى وحضروا بعد صلاة العشاء الآخرة ، ومشوا بأجمعهم قدام تابوت الملك المنصور الى الجامع الأزهر ، وحضر فيه القضاة ومشايخ الصوفية . فقدم قاضى القضاة تقي الدين بن دقيق العيد ، وصلى على الحازة ، وخرج الجمع أمامها الى القبة المنصورية حتى دفن فيها ، وذلك فى ليلة الجمعة ثانى المحرم ، وقيل عاشره .

ثم عاد الوزير والنائب من الدهليز خارج القاهرة الى القبة المنصورية ، لعمل مجتمع بسبب قراءة ختمة كريمة ، فى ليلة الجمعة ثامن عشرى صفر منها ، وحضر المشايخ والقراء والقضاة فى جمع موفور ، وفرق فى الفقراء صدقات جزيلة ، ومدت أسطة كثيرة ، وتفرقت الناس أطعمتها حتى امتلأت الأيدي بها ، وكانت إحدى الليالى القرم ، كثر الدعاء فيها للسلطان وعساكر الاسلام بالصر على أعداء الملة ، وحضر الملك الأشرف بكرة يوم الجمعة الى القبة المنصورية ، وفرق مالا كثيرا .

وكان الملك الأشرف قد برز يريد المسير لجهاد الفرنج ، وأخذ مدينة عكا ، فسار لذلك ، وعاد فى العشرين من شعبان - وقد فتح الله له مدينة عكا عنوة بالسيف ، وخرب أسوارها - وكان عبوره الى القاهرة من باب النصر ، وقد زينت القاهرة زينة عظيمة .

فصدا حاذى باب المارستان ، نزل الى القبة المنصورية ، وقد غصت بالقضاة والأعيان والقراء والمشايع والفقهاء ، فلقوه كلهم بالدعاء حتى جلس . فأخذ اقراء فى القراءة ، وقام نجم الدين محمد بن فتح الدين محمد بن عبد الله بن مهلهل بن غياث بن نصر - المعروف بابن الصبرى الواعظ - وصعد منبرا نصب له ، فجلس عليه ، وافتتح بشد قصيدة تشمل على ذكر الجهاد وما فيه من الأجر ، فلم يسمع فيها يحظ ، وذلك أنه افتتحها بقوله .

زر والديك وقف على قبرهما

فكأنتى بك قد تقل اليهما

فصدا سمع الأشرف هذا اليب تطير منه ، ونهض قائما وهو سب الأمير يبدرا نائب السلطنة لشدة حنقه ، وقال . ما وجد هذا شيئا يقوله سوى هذا البيت !

فأخذ يبدرا فى تسكين حنقه ، والاعتذار له عن ابن الصبرى بأنه قد انفردي فى هذا الوقت بحسن الوعظ ، ولا نظير له فيه ، الا أنه لم يرزق سعادة فى هذا الوق . فلم يصنع السلطان الى قوله وسار ، فانقض المجلس على غير شيء ، وصعد السلطان الى قلعة الجبل .

ثم بعد أيام سأل السلطان عن وقف المارستان ، وأحب أن يجدد له وقفا من بلاد عكا التى افتتها بسيفه ، فاستدعى القضاة ، وشاورهم فيما هم به من ذلك . فرغبوه فيه ، وحثوه على المبادرة اليه .

فمن أربع ضياع من ضياع عكا وصور ليقها على مصالح المدرسة والقبة المنصورية ، ما تحتاج اليه من ثمن زيت وشمع ومصايح

وبسط وللفه الساقية ، وعلى خمسين مقرا يرتبون لقراء القرآن الكريم بالقبة ، وامام راتب يصلى بالسلس الصلوات العيس فى محراب القبة ، وستة حدام يقيمون بالقبة - وهى الكابرة ، وتلى الشيوخ ، وكردافة وضواحيها من عكا ، ومن ساحل صور معركة وصدفين - وكب بذلك كتاب وقف ، وجعل النظر فى ذلك لوزيره الصاحب شمس الدين محمد بن السلموس .

فلما تم ذلك ، تقدم بعمل مجتمع بالقبة لقراءة ختمة كريمة ، وذلك ليلة الاثنين رابع ذى القعدة سنة ثمان مائة فاجتمع القراء والوعاظ والمشايع والفقهاء والقضاة لذلك ، وخلق على عامة أرباب اوليائهم والوعاظ ، وفرقت فى الناس صدقات جمة .

وعمل مهم عظيم احتفل فيه الوزير احتفالا زائدا ، وبات الأمير بدر الدين يبدرا نائب السلطنة والأمير الوزير شمس الدين محمد بن السلموس بالقبة . وحضر السلطان ، ومعه الخليفة الحاكم بأمر الله أحمد ، وعليه سواده ، فخطب الخليفة خطبة بليغة حرض فيها على أخذ العراق من التار . فلما فرغ من المهم ، أفاض السلطان على الوزير تشريفا سنيا .

وفى يوم الخميس حادى عشر ربيع الأول سنة احدى وتسعين وستائة ، اجتمع القراء والوعاظ والفقهاء والأعيان بالقبة المنصورية لقراءة ختمة شريفة ، ونزل السلطان الملك الأشرف ، وتصدق بمال كثير .

وأخر من نزل الى القبة المنصورية من ملوك بنى قلاوون ، السلطان الملك الناصر حسن بن

وتنادى الحال على هذا أيام سيطرة الملك  
الناصر محمد الأولى فلما خلع ، وتملك  
كتبا ، أخذ دار الأمير سيف الدين بلبان  
الرشيدي ليصلا مدرسة ، فدل على هذه  
البوابة ، فأخذها من ورة الأمير يندرا - فانها  
كانت قد انتقلت اليه - وعملها كتبا على  
باب هذه المدرسة .

فلما خلع من الملك ، وأقيم الناصر محمد ،  
اشترى هذه المدرسة قسلا اتماما والاشهاد  
بوقتها ، وولى شراها وصيه قاضي القضاة  
زين الدين علي بن مخلوف المالكي ، وأنشأ  
بجوار هذه المدرسة من داخل بابا قبة بجيلية ،  
لكنها دون قبة آية ، ولما كملت نقل اليها أمه  
بنت سكباى بن قراجين .

ووقف على هذه المدرسة قيسارية أمير على  
يخط الشرايين من القاهرة ، والربع الذي  
يملوها - وكان يعرف بالدهشة - ووقف  
عليها أيضا حوانيت يخط باب الزهومة من  
القاهرة ، ودار الطعم خارج مدينة دمشق

فلما مات انه أنوك من الخاتون طغاي ،  
فى يوم الجمعة سابع عشر ربيع الأول سنة  
لحدى وأربعين وسعما ، وعمره ثمانى عشرة  
سنة ، دفنه بهذه القبة ، وعمل عليها وقفا  
يختص بها . وهو باق الى اليوم يصرف لقراء  
وغير ذلك .

وأول من رتب فى تدرس المدرسة الناصرية  
من المدرسين : قاضي القضاة زين الدين علي  
بن مخلوف المالكي ليدرس فقه المالكية  
بالايوان الكبير القبلى ، وقاضي القضاة شرف  
الدين عبد الغنى الحرائى ليدرس فقه الحنابلة  
بالايوان الغربى ، وقاضي القضاة أحمد بن

محمد بن قلاوون فى سنة لحدى وستين  
وسبعمئة ، وحضر عنده بالقبة مشايخ العلم ،  
وبحثوا فى العلم ، وزار قبر آية وجده ،  
ثم خرج قنطر فى أمر المرضى بالمراستات ،  
وتوجه الى قلعة الجبل \* .

### المدرسة الناصرية

هذه المدرسة بجوار القبة المنصورية من  
شرقيها . كان موضعها حماما ، فأمر السلطان  
الملك العادل زين الدين كتبا المنصورى بإنشاء  
مدرسة موضعها . فابتدىء فى عملها ، ووضع  
أساسها ، وارتفع بناؤها عن الأرض الى نحو  
الطراز المذهب الذى يظاها . فكان من خلعه  
ما كان .

فلما عاد السلطان الملك الناصر محمد بن  
قلاوون الى مملكة مصر فى سنة ثمان وتسعين  
وسمئة ، أمر بتمامها ، فكملت فى سنة ثلاث  
وسبعمئة . وهى من أجل مائى القاهرة ،  
وبابها من أعجب ما علة أبدي بنى آدم فانه  
من الرخام الأبيض البسديع الزى الفائق  
الصناعة ، ونقل الى القاهرة من مدينة عكا .

وذلك أن الملك الأشرف خليل بن قلاوون ،  
لما فتح عكا عنوة فى سابع عشر جمادى الأولى  
سنة تسعين وستئة ، أقام الأمير علم الدين  
سنجر الشجاعى لهدم أسوارها وتخريب  
كنائسها . فوجد هذه البوابة على باب كنيسة  
من كنائس عكا ، وهى من رخام ، وقاعدتها  
وأعضادها وعمدها كل ذلك متصل بعضه  
يبيض ، فعمل الجميع الى القاهرة ، وأقام  
عنده الى أن قتل الملك الأشرف .

الروحي الحنفى ليدرس فقه الحنفية بالابواب الشرقي ، والشيخ صدر الدين محمد بن المرحل - المعروف بابن الوكيل - الشافعي ليدرس فقه الشافعية بالابواب البحرية . وقرر عند كل مدرس منهم عدة من الطلبة ، وأجى عليهم المعاليم ، ورتب بها اماما يؤم الناس في الصلوات الخمس ، وجعل بها خزانة كتب جليلة .

وأدركت هذه المدرسة وهي محترمة الى الغاية . يجلس يدهليزها عدة من الطواشية ، ولا يمكن غريب أن يصعد اليها . وكان يفرق بها على الطلبة والقراء وسائر أرباب الوظائف بها السكر في كل شهر ، لكل أحد منهم نصيب ، ويفرق عليهم لحوم الأضاحي في كل سنة . وقد بطل ذلك ، وذهب ما كان لها من الناموس . وهي اليوم عامرة من أجل المدارس .

#### المدرسة الحجازية

هذه المدرسة برجة باب العيد من القاهرة ، بجوار قصر الحجازية ، كان موضعها بابا من أبواب القصر يعرف بباب الزمرذ . أنشأتها الست الجليلة الكبرى خوند تتر الحجازية ابنة السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون ، زوجة الأمير بكتمر الحجازي ، وبه عرفت .

وجعلت بهذه المدرسة درسا للفقهاء الشافعية قررت فيه شيخنا شيخ الاسلام سراج الدين عمر بن رسلان البلقيني ، ودرسا للفقهاء المالكية ، وجعلت بها متبرا يخطب عليه يوم الجمعة ، ورتبت لها اماما راتبا يقيم بالناس الصلوات الخمس ، وجعلت بها خزانة كتب .

وأنشأت بجوارها قبة من داخلها تشدق تحتها ، ورتبت بشباك هذه القبة عدة قراء يتناوبون قراءة القرآن الكريم ليلا ونهارا ، وأنشأت بها منارا عاليا من حجارة ليؤذن عليه . وجعلت بجوار المدرسة مكتبا للسبيل ، فيه عدة من أستاذ المسلمين ، ولهم مؤدب يعلمهم القرآن الكريم ، ويجري عليهم في كل يوم لكل منهم من الخبز النقي خمسة أرغفة ومبلغ من التلوس ، ويقام لكل منهم بكسوئي الشتاء والصيف .

وجعلت على هذه الجهات عدة أوقاف جليلة يصرف منها لأرباب الوظائف المعاليم السنية . وكان يفرق فيهم كل سنة ، أيام عيد الفطر ، الكحك والخشكناك ، وفي عيد الأضحى اللحم ، وفي شهر رمضان يطبخ لهم الطعام . وقد بطل ذلك ، ولم يبق غير المعلوم في كل شهر .

وهي من المدارس الكبيرة ، وعصدي بها محترمة الى الغاية \* ، يجلس بها عدة من الطواشية ، ولا يمكنون أحدا من عبور القبة التي فيها قبر خوند الحجازية الا القراء فقط وقت قراءتهم خاصة .

واتفق مرة أن شخصا من القراء كان في نفسه شيء من أحد رفقاءه ، فأتى الى كبير الطواشية بهذه القبة ، وقال له : ان فلانا دخل اليوم الى القبة وهو بغير سراويل . فغضب الطواشي من هذا القول ، وعد ذلك ذنبا عظيما وفعلا محذورا ، وطلب ذلك المقرئ ، وأمر به فحضر بين يديه ، وصار يقول له : تدخل على خوند بغير سراويل ! وهم باخراجه من

(\*) ص ٢٨٢ ، ج ٢ ، ط ٠ بولاق .

بسط تفرش في يوم الجمعة كلها منقوشة بأشكال الحارب أيضا ، وفيها خزانة كتب ، ولها امام راتب

« طيرس » بن عبد الله الوزير كان في ملك الأمير بدر الدين بيلبك مملوك الخازندار الظاهري نائب السلطة ، ثم انتقل الى الأمير بدر الدين بيدرا ، وتقل في خدمته حتى صار نائب الصبية ، ورأى ماما للمنصور لاجين يدل على أنه يصير سلطان مصر ، وذلك قبل أن يتقلد السلطة وهو نائب الشام ، فوعده ان صارت اليه السلطة أن يقدمه وبنيه به

فلما تملك لاجين استدعاء ، وولاه نقابة الجيش بديار مصر - عوضا عن بليان الفاخرى - في سنة سبع وتسعين وسبعمائة . فباشر النقابة مباشرة مشكورة الى الغاية ، من اقامة الحرمة ، وأداء الأمانة ، والعفة المفرطة ، بحيث انه ما عرف عنه أنه قبل من أحد هدية ألبنة ، مع التزام الديانة والمواظبة على فصل الخير والفضي الواسع

وله من الآثار الجميلة الجامع والخاناته بأرضي بستان الخشاب ، المطلة على النيل خارج القاهرة ، فيما بينها وبين مصر بجوار المنشأة . وهو أول من عمر في أرضي بستان الخشاب ، وقد تقدم ذكر ذلك ، ومن آثاره أيضا هذه المدرسة البديعة الزى ، وله على كل من هذه الأماكن أوقاف جليلة .

ولم يزل في نقابة الجيش الى أن مات في العشرين من شهر ربيع الآخر سنة تسع عشرة وسبعمائة ، ودفن في مكان بمدرسته هذه ، وقبره بها الى وقتنا هذا . ووجد له من بعده مال كثير جدا ، وأوصى الى الأمير علاء الدين

وظيفة القراءة لولا ما حصل من شفاعاة الناس فيه .

وكان لا يلى نظر هذه المدرسة الا الأمراء الأكابر ، ثم صار يليها الخدام وغيرهم وكان انشاؤها في سنة احدى وستين وسبعمائة .

ولما ولي الأمير جمال الدين يوسف البحاسي وظيفة أستاذية السلطان الملك الناصر فرج ابن بروق ، وعمر بجانب هذه المدرسة داره ثم مدرسته ، صار يجلس في المدرسة الحجازية من يصادره أو يعاقبه ، حتى امتلات بالمسجونين والأعوان المرسمين عليهم ، فزالت تلك الأبهة وذهب ذلك التاموس . واقتدى بجمال الدين من سكن بعده من الأستادارية في داره ، وجعلوا هذه المدرسة سجنًا ، ومع ذلك فهي من أبهج مدارس القاهرة الى الآن .

#### المدرسة الطيرسية

هذه المدرسة بجوار الجامع الأزهر من القاهرة ، وهي غريبة مما يلى الجهة البحرية . أنشأها الأمير علاء الدين طيرس الخازنداري ققيب الجيوش ، وجعلها مسجداً له تعالى زيادة في الجامع الأزهر ، وقرر بها درساً للفقهاء الشافعية ، وأنشأ بجوارها ميثاءً وحوض ماء سبيل ترده الدواب .

وأتفق في رخامها وتذهيب سقوفها ، حتى جاءت في أبدع زى ، وأحسن قالب ، وأبهج ترتيب ، لما فيها من اتقان العمل وجودة الصناعة ، بحيث انه لم يقدر أحد على محاكاة ما فيها من صناعة الرخام ، فان جميعه أشكال الحارب ، وبلغت التفقة عليها جملة كثيرة ، وانتهت صارتها في سنة تسع وسبعمائة . ولها

على الكوراني ، وجعل الناظر على وصية  
الأمير أرغون نائب نائب السلطنة

واتفق أنه لما فرغ من بناء هذه المدرسة ،  
أحضر اليه مباشرة حساب مصروفها فلما  
قدم اليه استلقى بطشت فيه ماء ، وغسل  
أوراق الحساب بأمرها من غير أن يقف على  
شيء منها ، وقال : شيء خرجنا عنه لله تعالى  
لا لحساب عليه .

ولهذه المدرسة شبائيك في جدار الجامع  
تشرف عليه ، ويتوصل من بعضها اله ، وما  
عمل ذلك حتى استغنى الفقهاء فيه ، فأقوه  
بجواز فعله وقد تداول أبدي نظار سوء  
على أوقاف طيبرس هذا ، فحرب أكثرها ،  
وخرب الجامع والخانقاه ، وبقيت هذه  
المدرسة ... عمرها الله بذكره .

#### المدرسة الاقباقية

هذه المدرسة بجوار أنجام الأزهر ، على  
سرة من يدخل اليه من باب الكبير البحري ،  
وهي تشرف بشبائيك على الجامع مركبة في  
جداره ، فصارت تجاه المدرسة الطيرسية .  
كان موضعها دار الأمير الكبير عز الدين أيدير  
الحلي ، نائب السلطنة في أيام الملك الظاهر  
بيبرس ، وميضأة للجامع ، فأنشأها الأمير علاه  
الدين أقباقا عبد الواحد \* ، أستاذار الملك  
الناصر محمد بن قلاوون ، وجعل بجوارها  
قبة ومنازة من حجارة منحوتة .

وهي أول مثذبة عملت بديار مصر من الحجر  
بعد المنصورية ، وانما كانت قبل ذلك تبنى  
بالآجر ... بناها هي والمدرسة المعلم ابن

(\*) ص ٢٨٢ ، ج ٢ ، ط بولاق .

المسيوني ، رئيس المهندسين في الأيسام  
الناصرية ، وهو الذي تولى بناء جامع المارديني  
خارج باب زوطة ، وبنى مثذته أيضا .

وهي مدرسة مظلمة ، ليس عليها من بهجة  
المساجد ، ولا أمن يسوت العادات ، شيء  
ألبتة . وذلك أن أقباقا عبد الواحد اغتصب  
أرض هذه المدرسة ، بأن أقرض ورثة أيدير  
الحلي مالا ، وأهل حتى تصرفوا فيه ، ثم  
أعسفهم في الطلب ، وألجأهم الى أن أعطوه  
دراهم ، فهدمها وبنى موضعها هذه المدرسة .

وأضاف الى اغتصاب البقعة أمثال ذلك من  
الظلم ، فبناها بأنواع من القصب والصف ،  
وأخذ قطعة من سور الجامع حتى ساوى بها  
المدرسة الطيرسية ، وحشر لصلها الصناعات  
من البنائين والتجارين والحجارين والمرحمين  
والفلة ، وقرر مع الجميع أن يصل كل  
منهم فيها يوما في كل أسبوع بغير أجره .

فكان يجتمع فيها في كل أسبوع سائر  
الصناعات الموجودين بالقاهرة ومصر ، فيجدون  
في العمل نهارهم كله بغير أجره ، وعليهم  
مملوك من مماليكه ، ولاه شد الصعارة ، لم ير  
الناس أظلم منه ، ولا أعتى ولا أشد بأسا ،  
ولا أقسى قلبا ولا أكثر عنتا . فلقى العمال منه  
مشقات لا توصف ، وجاء مناسب لمولاه .

وحل مع هذا الى هذه العمارة سائر ما  
يحتاج اليه ، من الأمتعة وأصناف الآلات ،  
وأنواع الاحتياجات من الحجر والخشب  
والرخام والدهان وغيره ، من غير أن يدفع في  
شيء منه ثمنًا ألبتة ، وانما كان يأخذ ذلك اما  
بطريق القصب من الناس ، أو على سبيل

وهذه المدرسة عامرة الى يومنا هذا . الا  
انه تطل منها الميصة ، واصيبت الى ميضاة  
الجامع لتغلب بعض الأمراء — بموافقة بعض  
النظار — على بنس الساقية التي كانت  
برسمها .

« أقبأ عبد الواحد » الأمير علاء الدين :  
أحضره الى القاهرة التاجر عبد الواحد بن  
بدال ، فاشتره منه الملك الناصر محمد بن  
قلاوون ، ولقبه باسم تاجره الذي أحضره ،  
فحظى عنده ، وعمله شاد العائز ، فنهض فيها  
فهضة أعجب منه السلطان وعظمه حتى عمله  
أستادار السلطان بعد الأمير مغلطاي الجمالي ،  
فى الحرم سنة اثنين وثلاثين وسبعمائة ،  
ولولاه مقدم المالك فقوت حرمة وعظمت  
مهابته ، حتى صار سائر من فى يرب السلطان  
يخافه ويخشاه .

ومابرح على ذلك الى أن مات الملك الناصر ،  
وقام من بعده ابنه الملك المنصور أبو بكر ،  
فقبض عليه فى يوم الاثنين سلخ الحرم سنة  
اثنين وأربعين وسبعمائة ، وأمسك أيضا  
ولديه ، وأحيط بهالة وسائر أملاكه ، ورسم  
عليه الأمير طيضا المجدى ، ويبيع موجوده من  
الخيال والجمال والجوارى والقصاى والأسلحة  
والأواني ... فظهر له شيء عظيم الى العاية :  
من ذلك أنه يسبح بقلعه الجبل — وبها كانت  
تعمل حلقات مبيعة — سراويل امرأته ببلغ  
مائى ألف درهم فضة : عنها نحو عشرة آلاف  
دينار ذهب ، ويبيع له أيضا قبقاب وشمروزة  
وخف نسائى ببلغ خمسة وسبعين ألف درهم

الخيانة من عماتى السلطان ، فانه كان من جملة  
ما بينه شدة العائز السلطانية .

وناسب هذه الأفعال أنه ما عرف عنه قط  
أنه نزل الى هذه الصارة الا وقرب فيها من  
الصناع عدة ضربا مؤلما ، فبصر ذلك الضرب  
زيادة على عمله بغير أجرة ، يقال فيه كملت  
نصالك هذه بعمارى . قلنا فرغ من بنائها ،  
يجمع فيها سائر الفقهاء وجميع القضاة .

وكان الشريف شرف الدين على بن شهاب  
الدين الحسين بن محمد بن الحسين — تقيب  
الإشراف زمحتب القاهرة حينئذ — يؤمل  
أن يكون مدرسا ، يسمى عنده فى ذلك ،  
فعمل بطلا على قياسها بلغ ثمنها ستة آلاف  
درهم فضة ، ورشاه بها ، ففرشت هناك .

ولما تكامل حضور النام بالمدرسة — وفى  
الذهن أن الشريف يلى التدريس ، وعرف أنه  
هو الذى أحضر البسط التى قد فرشت —  
قال الأمير أقبأ لمن حضره : لا أولى فى هذه  
الأيام أحدا . وقام .. ففرق الناس .

وقرر فيها درسا للشافعية ولى تدريسه ...  
ودرسا للحنفية ولى تدريسه ١٠٠٠٠ وجعل  
فيها عدة من الصوفية ولهم شيخ ، وقرر بها  
طائفة من القراء يقرأون القرآن بشباكها ،  
وجعل لها اماما رابعا ومؤذنا وقرائين وقومة  
ومباشرين ، وجعل النظر للنظر الشافعى  
بديار مصر ، وشرط فى كتاب وقته ألا يلى  
النظر أحد من ذريته ، ووقف على هذه الجهات  
حوائيت خارج باب زويلة بخط تحت الريح ،  
وقرية بالوجه القبلى .

(١) حكاه بياض فى الأصل



قصة : عنها زيادة على ثلاثة آلاف دينار ، وبيعت ببلدة مقافع بمائة ألف درهم .

وكرّرت المرافعات عليه من التجار وغيرهم . فبعث السلطان اليه شاذ الدواوين يعرفه أنه أقسم بترية الشهيد ( يعني أباه ) أنه متى لم يعط هؤلاء حقهم ، والا سرتك على يميل ، وطلعت بك المدينة ، فشرع أقبغا في استرضائهم وأعطاهم نحو المائتي ألف درهم قصة . ثم تولّى اليه الوزير نجم الدين محمود بن سرور - المعروف بـ **بازار** - فهدّد به ، فجمعه للتحاج إبراهيم بن صابر مقدم الدولة ، لمطالع الكمال ، فأخذوا منه ثلوثا **بنيهم** ، فقبض ، وصعدا بها الى السلطان .

وكان سبب هذه النكبة أنه كان قد تحكم في أمور الدولة السلطانية **بالأجانب** الأشغال ، أعلامهم وأدبهم ، **بالحج** ، له عرف الرعايا ، وكان عنده فرائض غضب عليه **بالفرجة** بضرها ، فانصرف من عنده ، وتخدم في دار الأمير أبي بكر ولد السلطان ، فبعث أقبغا يستنعي بالفرائض اليه ، فقصته عنه **أبو بكر** ، **بالحج** ، التي مع أحد ممالكة **ببازار** ، التي أرسلت أن تعني هذا الغلام ، ولا تشوش عليه . فلما بلغه المملوك الرسالة ، اشتد حقه وسبه مباحشا ، وقال له : قل لأستاذك يسير الفرائض وهو جيد له .

وكان قبل ذلك اتفق أن الأمير أبا بكر خرج من خدمة السلطان الى بيته ، فإذا الأمير أقبغا قد بطح مملوكا وضربه ، فوقف أبو بكر بنفسه ، وسأل أقبغا في الصوف عن المملوك ، وشفع فيه ، فلم يلتفت أقبغا اليه ، ولا نظر

(\*) ص ٢٨٤ ، ج ٢ ، ط ١ ، بولاق .

الى وجهه ، فتجمل أبو بكر من الناس - لكونه وقف قائما بين يدي أقبغا وشفع عنده ، فلم يقم من مجلسه لوقوفه ، بل استمر قاعدا وأبو بكر واقف على رجله ، ولا قبل مع ذلك شفاعته - ونفى وفي قصة منه حق كبير .

فلما عاد اليه مملوكه ، وبلغه كلام أقبغا بسبب هذا الفرائض ، أكد ذلك عنده ما كان من الآخرة ، وأخذ في قصة الى أن مات أبوه الملك الناصر ، وعهد اليه من بعده . وكان قد التزم أنه إن ملكه الله ليصادرن أقبغا ، وليضربه بالمقارع . وقال للفرائض : أقعد في بيتي ، وإذا حضر أحد لأخذك عرفت ما أعلم به . وأخذ أقبغا يترقب الفرائض ، وأقام أناسا للقبض عليه ، فلم يتعب له مسكه .

فلما أفضى الأمر الى أبي بكر ، استدعى الأمير قوصون - وكان هو القائم حينئذ بتدبير أمور الدولة - وعرفه ما التزمه من القبض على أقبغا ، وأخذ ماله وضربه بالمقارع ، وذكر له ولمدة من الأمراء ما جرى له منه . وكان لقوصون بأقبغا غاية ، فقال للسلطان : السمع والطاعة ، يرسم السلطان بالقبض عليه ومطالته بالمال ، فإذا فرغ ماله يفعل السلطان ما يختاره .

وأراد بذلك تطاول المدة في أمر أقبغا . فقبض عليه ، ووكل به رسل ابن صابر ، حتى أنه باب ليلة قبض عليه من غير أن يأكل شيئا . وفي صبيحة تلك الليلة تحدث الأمراء مع السلطان في نزوله الى داره محتظا به ، حتى يتصرف في ماله ، ويحمله شيئا بعد شيء .

فَنَزَلَ مع المجدى ، وباع ما يملكه ، وأورد المال .

فلما قبض على الحاج ابراهيم بن صابر ، وأقيم ابن شمس موضعه ، أرسله السلطان الى بيت أقبيا ليعصره ويضربه بالمقارع ويضربه . فبلغ ذلك الأمير قوصون ، فمنع منه ، وشنع على السلطان كونه أمر بضربه بالمقارع ، وأمر بمرأجته . فحق من ذلك ، وأطلق لسانه على الأمير قوصون ، فلم يزل به من حضرة من الأمراء حتى سكت على مضض .

وكان قوصون يدبر فى انتقاض دولة أبى بكر الى أن خلع ، وأقام بعده أخاه الملك الأشرف كجك بن محمد بن قلاوون ، وعمره نحو السبع سنين ، وتحكم فى الدولة . فأخرج أقبيا هو وولده من القاهرة ، وجعله من جملة أمراء الدولة بالشام . فسار من القاهرة فى قاسم ربيع الأول سنة اثنين وأربعين وسبعمائة ، على حيز الأمير مسعود من خطير بدمشق ، ومعه عياله فأقام بها .

الى أن كانت فتنة الملك الناصر أحمد بن محمد بن قلاوون ، وعصيانه بالكرك على أخيه الملك الصالح عماد الدين اسماعيل بن محمد بن قلاوون ، فاتهم أقبيا بأنه بث مملوكا من ممالিকে الى الكرك ، وأن الناصر أحمد خلع عليه ، وضربت البشائر بقلمة الكرك ، وأشاع أن أمراء الشام قد دخلوا فى طاعته وحلفوا له ، وأن أقبيا قد بث اليه مع مملوكه يشره بذلك .

فلما وصل الى الملك الصالح كتاب عساف أخى شطى بذلك ، وصل فى وقت وروده

كتاب نائب الشام الأمير طقودمر ، يخبر فيه بأن جماعة من أمراء الشام قد كاتروا أحمد بالكرك وكانهم ، وقد قبض عليهم ، ومن جملتهم أقبيا عبد الواحد . فرسم بحمله مقيدا ، فحمل من دمشق الى الاسكندرية ، وقتل بها فى آخر سنة أربع وأربعين وسبعمائة .

وكان من الظلم والطعم ، التعاطف على جانب كبير ، وجمع من الأموال شـ كثيرا وأقام جماعة من أهل الشر لتسج أولاد الأمراء ، وتعرف أحوال من اضر منهم . احتاج الى شىء ، فلا يزالون به حتى يعطوه مالا على سبيل القرض نفائدة جزيلة الى أهل ، فاذا استحق المال أعسفه فى الطلب ، وألحاه الى بيع ما له من الأملاك ، وحلها ان كانت وقفا بعنائه به ، وعين لعمل هذه الجبل شخصا يعرف بابن القاهرى وكان اذا دخل لأحد من القضاة فى شراء ملك أو حل وقف ، لا يقدر على مخالفته ، لا يجد بدا من موافقته

ومن غريب ما حكى عن طمع أقبيا أن مشد العاشية دخل عليه ، وفى أصمـه خاتم بغصى أحمر من زجاج له يريق ، فقال له أقبيا : إيش هو هذا العاش ؟

فأخذ يعطيه ، وذكر أنه من تركة أبيه .

فقال : بكم حسبوه عليك ؟

فقال : بأربمئة درهم .

فقال : أربه .

فناولوه اياه ، فأخذ وتشاغل عنه ساعة ، ثم قال له : والله فصيحة أن تأخذ خاتمك ، ولكن خذ أنت وهات ثمنه !

ودفعه اليه ، وألزمه باحضار الأربعمائة درهم فما وسعه الا أن \* أحضرها اليه . فعاقبه الله بذهاب ماله وغيره ، وموته غربا .

#### المدرسة الحسامية

هذه المدرسة بخط المسطاح من القاهرة ، قريبا من حارة الوزيرية . بناها الأمير حسام الدين طرنتاي المنصوري ، نائب السلطنة بديار مصر ، الى جانب مدر ، وجعلها برسم الفقهاء الشافعية . وهي في رقتنا هذا تجاه سوق الرقيق ، ويسلك منها الى رب العداس والى حارة الوزيرية والى سوقة الصاحب وباب الخوخة وغير ذلك

وكان بجانبها طبقة لحياط ، فطلبت منه بثلاثة أمثال ثمنها فلم يعها ، وقيل لطرنتاي : لو طلبته لاستحيى منك . فلم يطلبه ، وتركه وطبقته ، وقال : لا أشوش عليه

« طرنتاي » بن عبد الله : الأمير حسام الدين المنصوري . رباه الملك المصور قلاوون صغيرا ، ورقاه في خدمه . الى أن تقلد سلطنة مصر ، فجعله نائب السلطنة بديار مصر ، عوضا عن الأمير عز الدين أيبك الأقرم الصالحى ، وخلع عليه في يوم الخميس رابع عشر رمضان سنة ثمان وسبعين وستمئة . فباشر ذلك مباشرة حسنة .

الى أن كانت سنة خمس وثمانين ، فخرج من القاهرة بالساكر الى الكرك - وفيها الملك المسعود نجم الدين خضر . وأخوه بدر الدين

(\*) ١٢٨٥ هـ - ١٢٨٥ م - ١٢٨٥ هـ - ١٢٨٥ م - ١٢٨٥ هـ - ١٢٨٥ م

سلامش ، ابنا الملك الظاهر يبرس - فى رابع المحرم ، وسار اليها . فوافاه الأمير بدر الدين الصوائى بمساكر دمشق فى الثنى فارس ، ونازلا الكرك ، وقطعا الميرة عنها ، واستسدا رجال الكرك حتى أخذوا خضرا وسلامش بالامان فى خامس صفر ، وتسلم الأمير عز الدين أيك الموصلى ، نائب الشوبك مدينة الكرك ، واستقر فى نيابة السلطنة بها ، وبمث الأمير طرنتاي باليشارة الى قلعة الجبل فوصل البريد بذلك فى ثامن صفر

ثم قدم بابنى الظاهر ، فخرج السلطان الى لقائه فى ثانى عشر ربيع الأول ، وأكرم الأمير طرنتاي ، ورفع قدره ، ثم بعثه الى أخذ صهيون - وبها سقر الأشقر - فسار بالمساكر من القاهرة فى سنة ست وثمانين ، ونازلها وحصرها حتى نزل اليه سقر بالامان ، وسلم اليه قلعة صهيون ، وسار به الى القاهرة . فخرج السلطان الى لقائه وأكرمه .

ولم يزل على مكاتبه الى أن مات الملك المنصور ، وقام فى السلطنة بعده ابنه الأشرف صلاح الدين خليل بن قلاوون ، فقبض عليه فى يوم السبت ثالث عشر ذى القعدة سنة تسع وثمانين ، وعوقب حتى مات يوم الاثنين خامس عشر بقلعة الجبل ، وبقي ثمانية أيام بعد قتله مطروحا بجس القلعة .

ثم أخرج فى ليلة الجمعة سادس عشرى ذى القعدة ، وقد لف فى حصير ، وحمل على جنوبة الى زاوية الشيخ أبى السعود بالقرافة . ففلسه الشيخ عمر السعودى شيخ الزاوية ، وكفنه من ماله ، ودفنه خارج الزاوية ليلا ، وبقي هناك الى سلطنة المادل كيتفا ، فأمر

ينقل جسده الى تربته التي أنشأها بمذموسه هذه .

وكان سبب القبض عليه وقتله أن الملك الأشرف كان يكرهه كراهة شديدة فانه كان ي طرح جانبه في أيام آية ، ويغض منه ويحين نوابه ، ويؤذى من يخدمه ، لأنه كان يميل الى أخيه الملك الصالح علاء الدين على بن قلاوون . فلما مات الملك الصالح على ، وانتقلت ولاية العهد الى الأشرف خلل بين قلاوون ، مال اليه من كان بنحرف عنه في حياة أخيه ... الا طرنتاي ، فانه ازداد تماديا في الاعراض عنه ، وجرى على عادته في أذى من ينسب اليه ، وأغرى الملك المصمور بشمس الدين محمد بن السلوس — فاطر ديوان الأشرف — حتى ضربه ، وصرفه عن مباشرة ديوانه .

والأشرف مع ذلك يتأكد حنقه عليه ، ولا يجد بدا من الصبر الى أن صار له الأمر بعد آية ، ووقف الأمير طرنتاي بين يديه في نيابة السلطنة على عادته ، وهو منحرف عنه لما أسلفه من الاساءة عليه . وأخذ الأشرف في التدبير عليه .. الى أن قتل له عنه أنه يتحدث سرا في افساد نظام المملكة ، واخراج الملك عنه ، وأنه قصد أن يقتل السلطان وهو راكب في الميدان الأسود الذى تحت قلعة الجبل عند ما يقرب من باب الاصطبل ، فلم يحتفل ذلك .

وعندما سیر أربعة ميادين — والأمير طرنتاي ومن واقفه عند باب سارية — حتى انتهى الى رأس الميدان ، وقرب من باب الاصطبل ، وفي الظن أنه يعطف الى باب سارية ليكمل التسيير على العادة ، عطف الى

جهة القلعة ، وأسرع ودخل من باب الاصطبل . فبادر الأمير طرنتاي عندما عطف السلطان ، وساق فيمن معه ليدركوه ، فقاتهم وصار بالاصطبل فيمن خف معه من خواصه .

وما هو الا أن نزل الأشرف من الركوب ، فاستدعى بالأمير طرنتاي ، فقتله الأمير زين الدين كتبغا المنصوري من الفخول اليه ، وحذره منه وقال له . والله اني أخاف عليك منه ، فلا تدخل عليه الا في عصابة تعلم أنهم يمتنعونك منه ان وقع أمر تكرهه

فلم يرجع اليه ، وغره أن أحدا لا يجسر عليه لمهايته في القلوب ومكائنه من الدولة ، وأن الأشرف لا يبادره بالقبض عليه ، وقال لكتبغا : والله لو كنت قائما ما جسر خليل يبنهني .

وقام ومضى الى السلطان ، ودخل ومعه كتبغا . فلما وقف على عادته ، بادر اليه جماعة قد أعدهم السلطان \* وقبضوا عليه ، فأخذوه للكف من كل جانب ... والسلطان يمدد ذنوبه ، ويذكر له اساءاته ويسبه . فقال له : ياخوند ، هذا جسيمه قد علمته معك ، وقدمت الموت بين يدي ، ولكن والله لتضمن من بعدى .

هذا والأيدى تتناوب عليه ، حتى ان بعض الخاصكية قلع عيه ، وسحب الى السجن . فخرج كتبغا وهو يقول . إيش أعسل ؟ ويكررها . فأدركه الطلب ، رقبض عليه أيضا ، ثم آل أمر كتبغا بعد ذلك الى أن ولي سلطنة مصر .

مصر ، فكلت في صغر سنة لساناً وتسمين  
وستائة وعمل بها درسا للمالكية قرر فيه  
الشيخ شمس الدين محمد بن أبي القاسم بن  
عبد السلام بن جليل التونسي المالكي ،  
ودرسا للحنفية درس فيه ١٠٠٠ ٠٠٠ ،  
وجعل فيها خزانة كتب ، وجعل عليها  
وقفا يولد الثام . وهي اليوم يد قضاة  
الحنفية يتولون نظرها ، وأمرها متلاش ،  
وهي من المدارس العسة .

« منكوتر » : هو أحد ممالك الملك  
المنصور حسام الدين لاجين المنصوري ترقى  
في خدمته ، واختص به اختصاصا زائدا إلى  
أن ولي مملكة مصر بعد كتبها في سنة ست  
وتسمين وستائة ، فجعله أحد الأمراء بديار  
مصر ، ثم خلع عليه خلع نيابة السلطنة  
— عوضا عن الأمير شمس الدين قراسنقر  
المنصوري — يوم الأربعاء النصف من ذي  
القعدة .

فخرج سائر الأمراء في خدمته إلى دار  
النيابة ، وياشر النيابة بتعظيم كثير ، وأعطى  
المنصب حقه من الحرمة الوافرة والمهابة التي  
تخرج عن الحد ، وتصرف في سائر أمور  
الدولة من غير أن يمارضه السلطان في شيء  
ألبة ، وبلغت عبرة اقطاعه في السنة زيادة على  
مائة ألف دينار .

ولما عمل الملك المنصور الروك ، المعروف  
بالروك الحسامي ، فوض تفرقة مناللات  
اقطاعات الأجناد له ، فجلس في شباك دار  
النيابة بقلعة الجبل ، ووقف الحجاب بين  
يديه ، وأعطى لكل مقدمة مناللات ، فلم يجسر

(١) مكنيا بياض في الاسل

وأوقع الأشرف الخوطة على أموال طرنتاي ،  
وبعث إلى داره الأمير علم الدين سنجر  
الشجاعى . فوجد له من المين ستمائة ألف  
دينار ، ومن الفضة سبعة عشر ألف رطل ومائة  
رطل مصرى . عنها زيادة على مائة وتسعين  
قنطارا فضة سوى الأواني ، ومن العدد  
والأسلحة والأقمشة والآلات والخيول  
والممالك ما يتعذر احصاء قيمته ، ومن الفلات  
والأملاك شيء كثير جدا . ووجد له من  
البضائع والأموال المسفرة على اسمه ،  
والودائع والمقارضا ، والقود والأصاال ،  
والأبقار والأغنام ، والرقائق وغير ذلك .  
شيء يجمل وصفه هذا سوى ما أحصاه  
مباشروه بمصر والشام .

فلما حملت أمواله إلى الأشرف ، جعل  
يقبلها ويقول :

من عاش بعد عدوه يوما فقد بلغ النى  
واتفق بعد موت طرنتاي أن ابنه سأل  
الدخول على السلطان الأشرف ، فأذن له فلما  
وقف بين يديه ، جعل المديل على وجهه  
— وكان أعشى — ثم مد يده ويكى ، وقال :  
شيء لله ! وذكر أن لأهله أياما ما عندهم ما  
يأكلونه . فرق له وأخرج عن أملاك طرنتاي ،  
وقال : تبلفوا بريمها ... فسبحان من يبيده  
القبض والبسط .

#### المدرسة المنكوبرية

هذه المدرسة بحارة بهاء الدين من  
القاهرة . بهاها بجوار داره الأمير سبب الدين  
منكوتر الحسامي ، نائب السلطنة بديار

أحد أن تحتل في زيادة ولا نقصان ، خوفا  
من سوء خلفه وشدة حبه .

وبقي أماما في تفرقة المالات ، والناس على  
خوفه شديد ، فإن أقل الاقطاعات كان في أيام  
الملك المصور قلاورث عشرة آلاف درهم في  
السنة ، وأكثره ثلاثين ألف درهم ، فرجع فر  
الروك الحسامي أكثر اقطاعات الحلقة الى  
مبلغ عشرين ألف درهم وما دوما

فتش ذلك على الأجناد ، رتقدم طائفة منهم  
ورموا منازلهم التي فرقت عليهم ، لأن الواحد  
منهم وجد مناله بحق الصف مما كان له قبل  
الروك ، وقالوا لمكوتر : أما أن تمطونا ،  
يقوم بكلفنا ، والا فعدوا أخباركم ونحن  
نخدم الأمراء أو نصير بطائر

فغضب مكوتر ، وأخرق بهم ، وتقدم الى  
الحجاب فضربهم ، وأخذوا سيوفهم ،  
وأدعواهم السجون . أخذ يحاطب الأمراء  
بفحش ، ويقول : أما قوا شكاً من خبز ،  
ويقول تقول للسلطان ، فملت به فلبس ،  
يقول للسلطان ؟ أن رضى يخدم الا الى لمة  
الله فتش ذلك على الأمراء ، أسروا له  
الشر .

ثم انه لم زل بالسلطان حتى فقص على  
الأمير بئر الدين يسرى ، وحسن ، إخراج  
أكابر الأمراء من مصر ، فحردهم الى سبي ،  
وأصبح وقد خلا له الجو فلم رضى بذلك  
حتى تحلبت مع خوشدائيه بأنه لا بد أن  
ينشأ له دولة جديدة ، ويضرج طبعي وكرجي  
من مصر .

١٢٥

ثم انه جز حمدان بن صلفاي الى حلب في  
صورة أنه يستعجل الصاكر من سبي ، قرر  
معه القبض على عدة من الأمراء ، وأمر  
عدة من أمراء جملهم له عدة ودجرا . تقدم الى  
الصاحب فخر الدين انطليي بأن يعمل أوراكا  
تضمن أسماء أرباب الرافد ليقطع أكرها .

فلم تلخل سه ثمان رصعين ، حتى  
استوحشت خواطر الناس بمصر والشام من  
مكوتر ، وزاد حتى أراد السلطان أن يبعث  
بالأمير طما الى فاية طرابلس ، فتصل طما  
من ذلك فلم يعفه السلطان منه ، ألح  
مكوتر في إخراجها ، واغلظ للأمير كرجي  
في القول وحط على مسلار ويسرس  
الباشكير أنظارهم . عمن مهم . كان  
كرجي شرس الأخلاق ، ضيق العطن ، سريع  
الغضب ، فهم غير مرة بالفك بمكوتر ،  
وطعجي يسكن غصه .

فلما بلغ السلطان فساد قلوب الأمراء والعسكر  
فبعث قاضي القضاة حسام الدين الحسن بن  
أحمد بن الحسن الردي لحنى الى مكوتر  
يحدثه في ذلك ويرجعه عما هو فيه فلم  
يلصق الى قوله وقال . أنا ما لي حاجة  
بالنيابة ، أردت أخرج مع الفقراء

فلما بلغ السلطان عه ذلك استدعاه ،  
وطيب خاطره ، رعد به بصر طعجي بعد أيام ،  
ثم البض على كرجي بعد . فنقل هذا  
للأمراء ، فتحالفوا وقتلوا السلطان ، كما قد  
ذكر في خبره ، وأزل من بلغه حم مفصل  
السلطان الأمير مكوتر ، فقام الى شبك  
النيابة بالقلمة ، فرأى ذاب القلة وقد انضج ،

وخرج الأمراء ، والشموع تقد ، والضجة قد ارتفعت ، فقال . والله قد فعلوها . وأمر فغلقت أبواب دار النيابة ، وألبس مماليكه آلة الحرب .

فبعث الأمراء اليه بالأمير الحسام أستاذار ، فعرفه بمقتل السلطان ، وتلفظ به حتى نزل وهو مشدود الوسط بمندبل ، وسار به الى باب القلة ... والأمير طنجي قد جلس في مرتبة النيابة . فتقدم الى طنجي ، وقبل يده ، فقام اليه ، وأجلسه بجانبه . وقام الأمراء في أمر منكوتر يشفعون فيه ، فأمر به الى الجب وأنزلوه فيه .

وعندما استقر به أدليت له القفة التي نزل فيها ، وتصاحوا عليه بالصعود ، فطلع عليهم . وإذا كرجي قد وقف على رأس الجب في عدة من المماليك السلطانية ، فأخذ يسب منكوتر ويبيه ، وضربه بلسان أهله ، ودبجه بيده على الجب ، وتركه وانصرف فكان بين قتل أستاذه وقتله ساعة من الليل ، وذلك في ليلة الجمعة عاشر ربيع الأول سنة ثمان وتسعين .

#### المدرسة القراستقرية

هذه المدرسة تجاه خانقاه الصلاح سميد السعداء ، فيما بين رحبة باب العيد وباب النصر ، كان موضعها ، وموضع الربيع الذي بجانبها القريب ، مع خانقاه بيرس وما في صنها ، الى حمام الأعصر وباب الجوانية ... كل ذلك من دار الوزارة الكبرى التي تقدم ذكرها . أنشأها الأمير شمس الدين قراستقر المنصوري ، نائب السلطنة ، سنة سبعمائة . وبنى بجوار بابها مسجدا معلقا ، ومكتبا

لاقرأه أيتام المسلمين كتاب الله العزيز ، وجعل بهذه المدرسة درسا للفقهاء ، ووقف على ذلك داره التي بحارة بهاء الدين وغيرها . ولم يزل نظر هذه المدرسة بيد ذرية الواقف الى سنة خمس عشرة وثمانمائة ، ثم اقرضوا .

وهي من المدارس المليحة . وكنا نعهد البريدية اذا قدموا من الشام وغيرها لا يزلون الا في هذه المدرسة حتى يتعبوا سفرهم ، وقد بطل ذلك من سنة تسعين وسبعمائة .

« قراستقر بن عبد الله » : الأمير شمس الدين الجوكندار المنصوري . صار الى الملك المنصور قلاوون ، وترقى في خدمته الى أن ولاه نيابة السلطنة بطرب ، في شعبان سنة اثنتين وثمانين وستمائة ، عوضا عن الأمير علم الدين سنجر الشاقردي ، فلم يزل فيها الى أن مات الملك المنصور ، وقام من بعده ابنه الملك الأشرف خليل بن قلاوون .

فلما توجه الأشرف الى فتح قلعة الروم ، عاد بعد فتحها الى حلب ، وعزل قراستقر عن نيابتها ، وولى عوضه الأمير سيف الدين بلبان الطنحاني ، وذلك في أوائل شعبان سنة احدى وتسعين وكانت ولايته على حلب تسع سنين

فلما خرج السلطان من مدينة حلب ، خرج في خدمته ، وتوجه مع الأمير بدر الدين يسرا - نائب السلطنة بديار مصر - في عدة من الأمراء لقتال أهل جبال كسروان . فلما عاد سار مع السلطان من دمشق الى القاهرة ، ولم يزل بها الى أن ثار الأمير يسرا على الأشرف ، فتوجه معه وأعان على قتله . فلما

قتل بيدرا فر قراستقر ولأجين في نصف المحرم سنة ثلاث وتسعين وستمائة ، واختفيا بالقاهرة .

الى أن استقر الأمر للملك الناصر محمد ابن قلاوون ، وقام في نيابة السلطة وتدير الدولة الأمير زين الدين كتبغا ، فظهر في يوم عيد الفطر . وكانا عند فرارهما ، يوم قتل بيدرا ، أطلعا الأمير ييخاص الزينى - مملوك الأمير كتبغا نائب السلطة - على حالهما ، فأعلم أستاذه بأمرهما ، وتلف به حتى تحدث في شأنهما مع السلطان ، فعفا عنهما

ثم تحدث مع الأمير بكتاش الفحرى الى أن ضمن له التحدث مع الأمراء ، وسعى في الصلح بينهما \* وبين الأمراء والمالِك حتى زالت الوحشة ، وظهر من بيت الأمير كتبغا . فأحضرهما بين يدي السلطان ، وقبل الأَرْض ، وأقيضت عليهما التشايرف ، وجعلهما أمراء على عادتهما ، ونزلا الى دورهما ، فحل اليهما الأمراء ما جرت العادة به من التّقديم .

فلم يزل قراستقر على امرته الى أن خلع الملك الناصر محمد بن قلاوون من السلطة ، وقام من بعده الملك العادل زين الدين كتبغا ، فاستمر على حاله ... الى أن ثار الأمير حسام الدين لأجين : نائب السلطة بديار مصر ، على الملك العادل كتبغا بمنزلة الصّوّاج من طريق دمشق . فركب معه قراستقر وغيره من الأمراء الى أن فر كتبغا ، واستمر الأمر لحسام الدين لأجين ، وتلقب بالملك المنصور .

(١٨٩) من ٢٨٨ ج ١ ط ١ بولاق

فلما استقر بقلعة الجبل ، خلع على الأمير قراستقر ، وجعله نائب السلطة بديار مصر في صفر سنة ست وتسعين وستمائة . فباشّر النيابة الى يوم الثلاثاء للنصف من ذى القعدة فقبض عليه ، وأحيط بموجوده وحواصله ونوابه ودواوينه بديار مصر والشام ، وضيق عليه ، واستقر في نيابة السلطة بعده الأمير منكوتر .

وعد السلطان من أسباب القبض عليه اسرافه في الطمع ، وكثرة الحسايات ، وتحصيل الأموال على سائر الوجوه ، مع كثرة ما وقع من شكاية الناس من ممالِكه ، ومن كاتبه شرف الدين يعقوب . فانه كان قد تحكم في بيته تحكما زائدا ، وعظمت نعمته ، وكثرت سعادته ، وأسرف في اتّخاذ الممالِك والخدم ، وانهمك في اللعب الكثير ، وتعدى طوره ... وقراستقر لا يسمع فيه كلاما . وحذّته السلطان بسببه ، وأغلظ في القول ، وألزمه بضربه وتأديبه أو اخراجه من عنده ، فلم يعبأ بذلك .

وما زال قراستقر في الاعتقال الى أن قتل الملك المنصور لأجين ، وأعيد الملك الناصر محمد بن قلاوون الى السلطة ، فأفرج عنه وعن غيره من الأمراء ، ورسم له بِنِياَبة الصّية . فخرج اليها ، ثم نقل منها الى نيابة حماه بعد موت صاحبها الملك المنظر تقي الدين محمود ، بسفارة الأمير ييبرس الجاشنكير والأمير سالر .

ثم نقل من نيابة حماه بعد ملاقة التتر الى نيابة حلب . واستقر عوضه في نيابة حماه الأمير زين الدين كتبغا ، الذى تولى سلطنة



مصر والشام ، وذلك فى سنة تسع وتسعين وستائة ، وشهد وقعة شقحب مع الملك الناصر محمد بن قلاوون .

ولم يزل على نيابة حلب الى ان حلع الملك الناصر ، وتسلمن الملك المظفر بيبرس الجاشنكير ، وصاحب الناصر فى الكرك فلما تحرك لطلب الملك ، واستدعى نواب المالك ، أجابه قراستقر ، وأغانه برأيه وتدييره ، ثم حضر اليه وهو بدمشق ، وقدم له شيئا كثيرا ، وسار معه الى مصر حتى جلس على تخت ملكه بقلعة الجبل ، فولاه نيابة دمشق ، عوضا عن الأمير عز الدين الأفرم ، فى شوال سنة تسع وسبعائة .

وخرج اليها ، فيسار الى عزة فى عدة من النواب ، قبضوا على المظفر بيبرس الجاشنكير ، وسار به هو والأمير سيف الدين الحاج بهادر الى الخطار ، فتلقاهم الأمير أسدندر كرجي ، فسلمهم مهم بيبرس ، قيده وأركبه بعلا ، أمر قراستقر والحاج بهادر بالسير الى مصر . فشق على قراستقر تقييد بيبرس ، وبوهم السر من الناصر ، وانزعج لذلك ازعاجا كثيرا ، ألقى كلوته عن رأسه الى الأرض ، وقال لفراشه الدنيا فانية ، ياليتنا متنا ولا أنا هذا اليوم فترجل من حضر من الأمراء ، ورفعوا كلوته ووصعوها على رأسه .

ورجع من فوره ، ومعه الحاج بهادر ، الى ناحية الشام ، وقد ندم على تشيع المظفر بيبرس ، فجد فى سيرة الى أن سبر دمشق . وفى قصص السلطان منه كونه لم يحضر مع بيبرس ، وكان قد أراد القبض عليه ، فبعث

الأمير نوعاى القبحاقى أميرا بالشام ليكوف له عينا على الأمير قراستقر ، فظن قراستقر لذلك وشرع نوعاى يتحدث فى حق قراستقر بما لا يليق ، حتى ثقل عليه مقامه ، فقبض عليه بأمر السلطنة ، وسجن بقلعة دمشق

ثم ان السلطان صرفه عن نيابة دمشق ، وولاه نيابة حلب بسؤاله ، وذلك فى المحرم سنة احدى عشرة وسبعائة وكتب السلطان الى عدة من الأمراء بالقبض عليه مع الأمير أرغون الدوادار ، فلم يتمكن من التحدث فى ذلك لكثرة ما ضبط قراستقر أموره ، ولازمه عد قدومه عليه بتقليد نيابة حلب ، بحيث لم يتمكن أرغون من الحركة الى مكان الا وقراستقر معه

فكثر الحديث بدمشق أن أرغون انما حضر لمسك قراستقر ، حتى بلغ ذلك الأمراء ، وسمعه قراستقر فاستدعى بالأمراء ، وحضر الأمير أرغون ، فقال قراستقر بلمعى كذا ، وها أنا أقول ان كان حضر معك مرسوم بالقبض على فلا حاجة الى فتنة ، أنا طالع السلطان ، وهذا سيفى خذه ، ومد يده وحل سيفه من وسطه .

فقال أرغون ، وقد علم أن هذا الكلام مكيدة ، وأن قراستقر لا يمكن من نفسه : انى لم أحضر الا تقليد الأمير نيابة حلب بمرسوم السلطان وسؤال الأمير ، وحاشا لله أن السلطان يذكر فى حق الأمير شيئا من هذا

فقال قراستقر : غدا نركب ونسافر .

وانقض المجلس . فبعث الى الأمراء في ألا

يركب أحد منهم لوداعه ، ولا يخرج من دياره .  
فرقى ما عنده من اللواصص ومن الدراهم على  
صاليكه ليحملوا به على أوساطهم ، وأمرهم  
بالاحتراش ، وقدم علماته وحواشيه في الليل  
وركب وقت الصباح في طلب عظيم — وكافت  
عدة مماليك مستأفة مملوك فذبحهم حوله  
ثلاث حلقات — وأركب أرغون الى جانب .

وسار على غير الجادة حتى قارب حلب ،  
ثم عبرها في العشرين من المحرم ، وأعد  
أرغون بعدما أنعم عليه بألف دينار رحلته  
وخيل وحف ، وأقام بمدينة حلب خافضا  
يتربص ، وشرع يعمل الحيلة في الخلاص ،  
وصادق العربان ، واختص بالأمير حسام الدين  
منا أمير العرب وبابنه موسى . وأقلعه الى  
حلب ، وأوقفه على كعب السلطان اليه . فقبض  
عليه ، وأنه لم يفعل ذلك ، ولم يزل به حتى  
أفسد ما بينه وبين السلطان .

ثم انه بعث يستأذن السلطان في الحج .  
فأعجب السلطان ذلك ، وقرر أنه يستقر فيهم  
له التدبير عليه لما كان قبة من الاحتراش  
الكبير ، وأذن له في السفر ، وبعث اليه في  
دينار مصرة . فخرج من حلب ومعه أربعمائة  
مملوك معدة بالفرس والجنيب والمجن ، وسار  
حتى قارب الكرك ، فبلغه أن السلطان كتب  
الى النواب ، وأخرج عسكرا من مصر اليه .

فرجع من طريق السماوة الى حلب ، وبها  
الأمير سيف الدين قرطاي نائب الغية ، فمنعه  
من العبور الى المدينة ، ولم يمكن أحدا من  
مماليك قراسنقر أن يخرج اليه — وكانت

(٨٠) من ٦٨٩ ، ج ٢ ط ٢ بولاق

مكاتبة السلطان قد قدمت عليه بذلك —  
فرحل حينئذ الى مها أسير العرب واستنجان  
به ، فأكرمه رعت الى السلطان بسنح —  
فلم يجد السلطان بدا من قول شفاعة مهنا ،  
وخبر قراسنقر فيما يريد ، ثم أخرج عسكرا من  
مصر والشام لقتال مهنا ، وأخذ قراسنقر .

فبلغه ذلك فاحترس على نفسه . وكتب  
الى السلطان يسأله في صرخد ، وقصد بذلك  
المقاول . فأجاب به الى ذلك ، ومكنه من أخذ  
حواصله التي يحلب ، وأعطى مملوكه ألف  
دينار . فلما قدم عليه لم يطمئز رعبه الى  
بلاد الشرق في سنة ثنتي عشرة وسبعمئة في  
عدة من الأمراء يريد خربندا . فلما وصل الى  
الرجة ، بعث بابنه فرج — ومعه شيء من  
أثقاله وخيوله وأمواله — الى السلطان بمصر  
ليعتذر من قصده خربندا ، ورحل بن معه  
الى ماردين .

فتلقاه الغسل ، وقام له نواب خربندا  
بالاقامات الى أن قرب الأرد . فركب خربندا  
اليه ، وتلقاه وأكرمه ومن معه ، وأزله منزلا  
يلقي بهم ، وأعطى قراسنقر المرافعة من عمل  
أدرينجان ، وأعطى الأمير جمال الدين أقوش  
الأقرم همدان ... وذلك في أوائل سنة ثنتي  
عشرة وسبعمئة . فلم يزل هناك الى أن مات  
خربندا ، وقام من بعده أبو سعيد ترك بن  
خربندا .

فشق ذلك على السلطان ، وأعمل الحيلة في  
قتل قراسنقر والأقرم ، وسير اليهما القداوية .  
فجرت بينهم خطوب كثيرة ، ومات قراسنقر  
بالاسهال ببلد المرافعة في سنة ثمان وعشرين





تصدره دار التحرير للطبع والنشر

كتاب المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار  
يختص ذلك بأخبار إقليم مصر والنيل  
وذكر القاهرة وما يتعلق بها وبإقليمها.  
تأليف سيدنا الشيخ الإمام علامة الأئمة  
تقي الدين أحمد بن علي بن عبد القادر بن محمد  
المعروف بالمقرئ رحمه الله ونفع بعلمه آمين.

عن طبعة

بولاق

سنة ١٢٧٠ هجرية

Bibliotheca Alexandrina



0678440